مفهوم فصل السماء عن الأرض في الفكر الديني القديم في مصر وبلاد الرافدين[١]

كشفت النصوص والمناظر المصرية القديمة والنصوص المسمارية اللثام عن جملة من الرموز والأفكار والمعتقدات التي حاول الإنسان القديم آنذاك من خلالها إعطاء تصور لماهية الظواهر الكونية والطبيعية، التي وجدت طريقها لعالم اللاهوت، باعتبارها الآلهة التي تهيمن على الكون الذي يعيش فيه[٢]. وقد اصطبغت معظم هذه الأفكار والمعتقدات بالطابعين الأسطوري والحسي معا؛ وذلك بعد أن استغلق على الإنسان فهم جوهرها والوقوف على حقيقتها وكيفية تكوينها في البدء، ومن ثم فقد أدرك في النهاية أنه لا يوجد سبيل إلى فهم تلك الظواهر فهما مباشرا عن طريق العقل والتجربة الحسية، وأن استخدام الرموز لإدراك تلك الكائنات الإلهية الكامنة داخل وفيما وراء الظواهر الكونية والطبيعية وبلورتها، جنبا إلى جنب تلك الأفكار والمعتقدات المادية، هو أفضل الطرق لفهمها في نطاق حدوده الإنسانية ومنطقه وإدراكه الحسي[٣].

ويعد الشكل الذي تصور به الإنسان – في كل من مصر وبلاد الرافدين – نشأة السماء والأرض، وشكلهما ووحدتهما في البدء وذريتهما، ثم أسلوب انفصالهما،

---

[١] محمد عبد الرحمن الشرقاوي مدرس التاريخ القديم والآثار كلية الآداب جامعة المنوفية.

[٢] أدولف إرمان: ديانة مصر القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٦.

يتضح من النصوص والمناظر المصرية أن المصريين القدماء عاشوا في عالم لا يتكون من أشياء ولكن من كائنات، حيث لم يكن كل عنصر في هذا العالم مجرد شيء مادي ولكن فرد بارز ذو مشيئة وشخصية فذة؛ فالسماء لم تكن قبة زرقاء خالية من الحياة ولكن إلهة تحمل الشمس كل مساء وتهبها الحياة في الصباح هي الإلهة نوت، كما لم يكن الهواء الذي يفصل السماء عن الأرض فراغ خاوي ولكنه الإله شو، كما لم يكن العالم الآخر مجرد منطقة غامضة تمر الشمس من خلالها مساء ولكنه الإله أوزير، حتى المياه الخارجية الشاسعة الخالية من الحياة لها كينونة هي الإله نون.

Allen, J.P., Genesis in Egypt: The Philosophy of Ancient Egyptian Creation Accounts. Yale Egyptological Studies, 2. New Haven, 1988, p.8.

كما أعتقد سكان بلاد الرافدين القدامى أيضا بوجود قوى أو أرواح كامنة في المظاهر الطبيعية المختلفة وجسدوها على هيئة آلهة فكانت السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والبرق والرعد وغيرها آلهة. عامر سليمان: "جوانب من حضارة العراق القديم" في مجلد العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣، ص ٢١٠.

[٣] ردولف آنتس: "الأساطير في مصر القديمة" في كتاب أساطير العالم القديم، نشر وتقديم صمويل نوح كريمر، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤، ص١٩-٢٠.

Tobin,V.A., "Creation Myths" In The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt, (ed.) by Redford, D.B.,vol. 2, The American University in Cairo Press, 2001, pp. 471-472.

واحداً من أشهر الأمثلة على ذلك؛ إذ نسج الإنسان في عبارات بشرية وأسلوب مادي قصصا واتخذ رموزا للتعبير عن أصل السماء والأرض، والشكل الذي كانتا عليه، قبل وبعد فصلهما، كما أخذ يسرد الأسباب التي أدت إلى هذا الفصل، ويبين أهمية هذه الخطوة، وما ترتب عليها من نتائج، بالنسبة للكون وظواهره ثم لسائر مخلوقاته. وقد حرص الإنسان أن يضمن هذه المعتقدات مسحات من الغموض والرهبة ويكسوها بإطار من القداسة، وذلك بإدراجها في عالم أسطوري خارج حواجز الزمان والمكان المعروفين لديه تسوده طلاقة الخالق وقدرة المخلوقات، وفى حضور كوكبة من أقدس معبوداته، وفي جو ضبابي تحيط به المياه من كل مكان، وكأنه فقاعة في محيط أزلي غير مخلق غارق في غياهب القدم[٤].

وقد أظهرت تلك المعتقدات تشابها كبيراً في الفكر الديني بين مصر وبلاد الرافدين، من حيث العموم، كما أظهرت اختلافات بينهما من حيث التفاصيل، وذلك بسبب اختلاف نهج وأسلوب تلك الأساطير، وفقا للفكر الخاص بكل حضارة، فضلا عما تركته العوامل الطبيعية والبيئية من آثار. ومن ثم فقد كان الهدف من هذا البحث هو دراسة مفهوم الإنسان في كل من مصر وبلاد الرافدين عن نشأة السماء والأرض، ووحدتهما ثم انفصالهما، وأهمية هذه الخطوة، ونتائجها، والآلهة المسئولة عن هذه العملية، ثم تتبع أوجه الشبه والاختلاف بين هذه المعتقدات وأسبابها.

أولا: مفهوم فصل السماء عن الأرض في الفكر المصري القديم:-

١- أساطير فصل السماء عن الأرض

أشارت أسطورة أون (عين شمس) ضمن معالجتها لنشأة الكون، وسفر البقرة السماوية الذي تناول خيانة البشر للإله رع، وصعوده إلى السماء، فضلا عن جملة من النصوص والمناظر المصرية القديمة، إلى اعتقاد الإنسان المصري القديم بوحدة السماء والأرض في بداية الخلق ثم انفصالها[٥] وذلك على النحو التالي:-

أ- أسطورة أون

---

[٤] أدرك المصري القديم أن مثل هذه العوالم تختلف عما ألفه على الأرض، فقد كان كل شيء في العالم الآخر- على سبيل المثال – أكبر من مثيله في الحياة الدنيا، وأبعاده تقاس "بالمقاييس المقدسة" التي هي أكبر بكثير من المقاييس الملكية الأرضية. كما كان للزمن أيضا أبعاد أخرى في هذا العالم، فالساعة الواحدة للرحلة الليلية للشمس تعادل عمرا كاملا على الأرض. كما أن أصوات الموتى لا تماثل أصوات البشر بل هي تشبه طنين النحل أو خوار ثور أو صفير ريح أو صرخة قط أو صقر أو همهمة أصوات أو خرير مياه، ولا تكتسب هذه الأصوات معناها الحقيقي إلا في أذن إله الشمس.

اريك هورنونج: وادي الملوك، أفق الأبدية، العالم الآخر لدى قدماء المصريين، ترجمة محمد العزب موسى، ومراجعة محمود ماهر طه، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١٠٩-١١٤.

[٥] رندل كلارك: الرمز والأسطورة في مصر القديمة، ترجمة أحمد صليحة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨، ص٤٥.

تصور المصري القديم – وفقاً لما ورد في هذه الأسطورة[٦] – أن العالم الذي برز من الماء الأزلي (نون) كان لا يزال مضطربا، حيث لم تكن السماء قد انفصلت عن الأرض، وكانت نوت إلهة السماء مستلقية فوق زوجها جب إله الأرض[٧]، وملتحمين التحاما كاملا في اتحاد جنسي في وضع يقرب إلى التشابك أو التعانق[٨]، وقد أسفر هذا الوضع عن ميلاد أطفالهما الأربعة، ابنان وهما أوزير وست، وبنتان هما إيزة ونبت حت[٩].

غير أن هذا الوضع لم يستمر طويلا، إذ تدخل أباهما شو (أي الفراغ أو الخلاء أو الفراغ المضيء في قلب الظلام الأزلي)، والذي يمثل النور والهواء والحياة الجلية باعتباره ابنا للإله آتوم[١٠]، وزج بنفسه بينهما، وملأ العالم بالنور والهواء، وأصبح السند الهوائي لابنته نوت، ورفع السماء إلى أعلى، ومعها كل حي خلق، أي كل إله (ومعه سفينته) فاستحوذت عليها نوت، وقامت بإحصائها، وجعلت منها نجوم السماء، وفيهن الشمس، وأصبحن جميعا يجبن بسفنهن جسم نوت[١١]. وترك و ابنه جب منطرحا أسفل زوجته نوت، وملأ الفراغ بين السماء والأرض بمظاهر وجوده[١٢]. ولم يكن هناك من اتصال بين العالم العلوي والآخر السفلي سوى عظام شو، الذي تحمل ذراعيه نوت، وعين جب إله الأرض حاكما عليها، كما استقلت نوت بالسماء[١٣] (شكل ١-١٢).

ب– سفر البقرة السماوية

وهي قصة كونية تفسر طريقة ظهور السماء، وتبدأ بسرد خيانة البشر للإله رع وعقابهم، ثم نجاة بعضهم ليصبحوا الأسلاف الذين انحدر منهم البشر الحاليون[١٤]. وبناء على هذه الحادثة يسأم رع من بقائه بين الناس على الأرض، ويرفض البقاء سيدا على البشر الناكرين لمعروفه، ويقرر الانفصال عن دنيا البشر. عندئذ تتدخل الإلهة نوت بناء على طلب الإله نون، وتتحول إلى بقرة يعتلي رع ظهرها ليصعد عاليا، ثم طلب منها الابتعاد عن البشر في الأرض، ومضى في طريقه إلى قصره، وانضمت إليهما الآلهة، وبهذه الطريقة تحولت الإلهة نوت إلى إلهة السماء. وبعد سلسلة من أعمال الخلق

---

[٦] عن عملية وعناصر الخلق كما وردت في هذه الأسطورة أنظر
Allen, J.P., Genesis in Egypt, pp.8-35.

[٧] أدولف إرمان: ديانة مصر القديمة، ص، ٧٣.

[٨] Shorter, A.W., The Egyptian Gods: A Handbook, London, 1983, p.28 .

[٩] te Velde, H, "Geb" LA II, 1977, p.428.

[١٠] رندل كلارك: المرجع السابق، ص ٤١.

[١١] أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ٧٤.

[١٢] ياروسلاف تشرني: الديانة المصرية القديمة، ترجمة أحمد قدري، مراجعة محمود ماهر طه، هيئة الآثار المصرية، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٥٣.

[١٣] أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ٧٤.

[١٤] رندل كلارك: المرجع السابق، ص ١٨١.

التي قام بها الإله رع أثناء ارتقائه ظهر الإلهة نوت، ارتعشت نوت بشدة بسبب ارتفاعها الشاهق، عندئذ أمر الإله رع شو أن يجعل نفسه تحت البقرة ويرفعها فوق رأسه، ويسند بطنها، ويحرس آلهة (حح) الثمانية، الذين أخذوا بأرجل البقرة السماوية[١٥] (شكل ١٣).

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى عدة نقاط تتصل بتناول هذه الأساطير لمفهوم فصل السماء عن الأرض:-

(أولا) غلبة صفة التشبيه على تصورات الإنسان عن عالمه الإلهي، أي تشبيه الآلهة التي تمثل الظواهر الكونية والطبيعية بالبشر في هيئتها وحياتها وحواسها وسلوكها وعلاقاتها الاجتماعية، ومن ثم فقد صور المصري القديم آلهته بأنها تعيش كما كان البشر يعيشون. كما تخيل أن أعظمها شأنا وأعلمها قدرا - كالإله رع - كان كالبشر في الشكل والفكر والعمل، بل أنه كان معرضاً لما يواجهه البشر من ضعف ووهن بل وموت أيضا. وهو ما أدى إلى إظهار إتحاد السماء والأرض ثم انفصالهما في هذا الشكل الإنساني، بما يتفق مع تصور الإنسان لكل ما ينتمي إلى العالم الإلهي.

(ثانيا) أن أسطورة أون قدمت صورة أكثر وضوحا وأقرب إلى الفهم من سفر البقرة السماوية، أثناء سردها لعملية الخلق. حيث بدت عملية الخلق فيها بشكل تدريجي، بداية من نون الذي يمثل المحيط الأزلي ثم الإله الأول الخالق أتوم، ومرورا بكل من شو وتفنوت إلها الهواء والرطوبة، ثم نوت وجب إلها السماء والأرض، فالآلهة الأربعة الأخرى الأخيرة أوزير وست وإيزة ونبت حت، التي تمثل المخلوقات الأرضية. كما يفهم أيضا من أسطورة أون أن فصل السماء عن الأرض كان سابقا لخلق البشر وسائر الكائنات الأخرى التي عمرت الأرض بعد ذلك، بل وقبل أن يأخذ الكون شكله التقليدي المعروف، وبالتالي فقد كان مفهوما أن وحدة السماء والأرض ثم انفصالها قد حدثت في زمن يقع خارج نطاق الزمان الأرضي، وفي عالم تتجاوز أبعاده كل الأبعاد الأرضية.

بينما يلاحظ أن الأحداث في سفر البقرة السماوية تختلط ببعضها البعض بدون

---

[١٥] كلير لالويت: نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، المجلد الثاني، الأساطير والقصص والشعر، ترجمة ماهر جويجاتي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٦ص ٥٧-٦٣.
Piankoff, A., The Shrines of Tut-Ankh-Amon, (ed.) by Rambova, N., Bollingen Series XL.2, Princeton University Press, 1977, pp.26-34; Armour, R.A., Gods and Myths of Ancient Egypt, Cairo, 1987, pp.65-66; Griffiths.J.G., Solar Cycle" In The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt, (ed.) by Redford, " D.B., vol. 2, The American University in Cairo Press, 2001, pp.478-480; Wente,E.F., "Destruction of Mankind" In The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt, (ed.) by Redford, D.B., vol.1, The American University in Cairo Press, 2001, pp.389-390.

ترتيب منطقي، فهي تقرر أن مجلس الإله رع كان مكونا من كل من شو وتفنوت وجب ونوت ونون وعين رع (حتحور)، وذلك قبل فصل السماء عن الأرض، بل وقبل نشأة السماء أصلا، حيث لم تكن نوت هنا قد أخذت شكل السماء بعد، وبالتالي يصعب تصور مكان رع (الشمس) بدون سمائه، التي يتجلى عليها ومنها ينير الأرض. كما أن تلك الأسطورة تقرر أن ظهور البشر كان سابقا لتكوين السماء، وأن الأرض (كمسطح مستو تعيش عليه البشر والآلهة)، كانت موجودة قبل السماء (أى ذلك السطح الذى يعلو الأرض)، مما يصعب معه تخيل شكل الكون، أو دنيا البشر بدون سماء قبل ظهورها، وهى مرفوعة على ذراعي شو بعد أن أمره رع بذلك في أعقاب قراره بترك الأرض.

(ثالثا) يبدو واضحا من خلال أحداث أسطورة أون وسفر البقرة السماوية أن عملية الخلق قد تمت على مرحلتين، تم في المرحلة الأولى خلق عناصر الكون من ماء وهواء ورطوبة ثم السماء والأرض فالكائنات الإلهية الأرضية (أوزير وست وإيزة ونبت حت)، ثم نظم الكون في مرحلة لاحقة ليأخذ شكله الحالي، وذلك بعد أن رفعت السماء عن الأرض، وهى أولى الخطوات التي اعتمدها الخالق لتنظيم الكون.[١٦]

(رابعا) يلاحظ أن سفر البقرة السماوية يقرر أن البشر كانوا يعيشون جنبا إلى جنب مع الآلهة، في عالم يجمع بين الناسوت واللاهوت، في ظل حكم أسرة مقدسة إلهية، سابقة لعهد الملوك التاريخيين، يتربع على عرشها الإله رع إله الشمس وسيد الكائنات قاطبة. وبذا كان في مقدور الكائنات البشرية أن تستمتع بالوجود الدائم للشمس طوال هذه الحقبة المبكرة، وليس هناك من شك أن هذه الفترة كانت بمثابة العصر الذهبي والزمن المبارك الذي وجدت فيه ماعت كتجسيد للحق والعدالة والنظام والأساس الذي خلق عليه العالم وسوف يأتي للكائنات البشرية ويوجه حياتهم.[١٧]

غير أن البشر وضعوا بجهلهم نهاية لهذا العصر عندما فكروا في خيانة إلههم وكبيرهم رع، عندئذ تقرر الآلهة مغادرة الأرض والذهاب في معية رع إلى السماء. وبذلك كانت تلك اللحظة بمثابة نهاية للأوضاع الفردوسية البدائية فى حياة البشر، والذين كانوا لا يعانون فيها من جهد أو نصب أو موت[١٨] وبداية لأسلوب الحياة الحالي بكل ما فيه من خير وشر. كما يبدو أيضا أنه كان مقررا بفصل السماء عن الأرض، وفقا لهذه الأسطورة، الفصل بين دنيا البشر وعالم الآلهة، أي بين الناسوت واللاهوت، وإعداد الكون ليأخذ كل كائن مكانه المقرر له.

---

[١٦] محمد عبد اللطيف محمد على: فكرة الخلق في مصر الفرعونية حتى الألف الثاني قبل الميلاد، رسالة ماجستير غير منشورة، الإسكندرية ١٩٦٨، ص ١١٨-٢١٣، ١٢١-٢١٤.

[١٧] اريك هورنونج: فكرة في صورة، مقالات في الفكر المصري القديم، ترجمة حسن حسين شكري، ومراجعة محمود ماهر طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٣٧.

[١٨] te Velde, H., "The Theme of the separation of Heaven and Earth in Egyptian Mythology" in Studia Aegyptiaca, III, 1977, p. 162.

(خامسا) أن فصل السماء عن الأرض وفقا لمفهوم المصري القديم كما هو واضح من أسطورة أون وسفر البقرة السماوية لم يتم بالأمر الإلهي من قبل الإله الخالق، أي بمجرد قول الإله رع كن فيكون، أو عن طريق مبدأ الاسم، بمعنى أن مجرد ذكر اسم الشيء كان مرادفا لوجوده، وذلك على الرغم من وجود مجموعة كبيرة من الأساطير التي تشير إلى أن الآلهة كانت تستطيع تنفيذ مشيئتها فتخلق الأشياء التي تريدها بواسطة الأمر الإلهي، أي بقوة الكلمة الإلهية التي من خلالها يأمر الإله الشيء أن يكون، وعندئذ يكون الشيء حسب أمره، كما هو واضح، على سبيل المثال، من سلسلة الخلق التي قام بها الإله رع بفضل الكلمة الفعالة، وهو على ظهر نوت عندما تحولت إلى إلهة السماء[١٩]. وكذلك الأساليب التي اعتمدها بتاح عند خلق العالم وفقا لأسطورة منف[٢٠]. ومن ثم فقد اعتمدت الأسطورتان في فصل السماء عن الأرض على صنع الشيء أي عمله حسب رغبة الإله، ولذلك جاء هذا العمل نتيجة تدخل شو الذي زج بنفسه بينهما، بناء على أمر من آتوم، فرفع السماء إلى أعلى وأقر الأرض في مكانها في الرواية الأولى، أو بسند جسد الإلهة بذراعيه المرفوعتين إلى أعلى، وهي واقفة في أعالي العالم بناء على طلب الإله رع في الرواية الثانية.

(سادسا) أنه على الرغم من أهمية مرحلة فصل السماء عن الأرض في عملية الخلق، فلازال المظهر الذي بدت عليه الخليقة الأولى، وفقا لأسطورة أون، غامضا ومبهما، كما أنه وفقا لسفر البقرة السماوية فقد كان هناك فراغ فضائي غير محدد تماما سبق رفع السماء في نهاية عملية الخلق[٢١]، فضلا عن وجود أرض بلا سماء عاش عليها البشر والآلهة على السواء.

(سابعا) أن الإله شو الذي يمثل النور والهواء، كان صاحب الفضل في فصل السماء عن الأرض في أسطورة أون، أو رفع السماء في سفر البقرة السماوية، وظل صاحب هذا الدور في كل النصوص والمناظر المصرية القديمة – إلا في بعض الأحيان التي نسبت فيها هذه المهمة إلى أمون وآتوم وبتاح وبواوات وخنوم[٢٢] باعتبارهم من الآلهة الكبرى – ومن ثم فقد اعتبر شو بمثابة نفس الحياة، وسمي في نصوص التوابيت والنصوص الدينية بـ(عنخ) أى (الحياة)[٢٣]، كما كان الأنفاس الإلهية

---

[١٩] Piankoff, A., The Shrines of Tut-Ankh-Amon, pp. 30-32.

[٢٠] كلير لالويت: المرجع السابق، ص ٢٣-٢٨.

[٢١] ديمترى ميكس وكريستين فافار ميكس: الحياة اليومية للآلهة الفرعونية، ترجمة فاطمة عبد الله محمود، ومراجعة محمود ماهر طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٢٠٢- ٢٠٤.

[٢٢] te Velde, H., The Theme of the separation of Heaven and Earth, p.162.

[٢٣] ياروسلاف تشرنى: المرجع السابق، ص ٢٦٦، هـ ٤.

Faulkner, R.O., The Ancient Egyptian Coffin Texts, vol.I, Spells 1-354, Warminster, 1978, pp.72-87, spells 75-81.

التي تعطى الحياة للمخلوقات الأرضية[٢٤]. وطبقا لهذا المفهوم فقد جسد المصريون الكون بتخيل الإله شو رافعا بذراعيه الممتدتين إلى أعلى ابنته نوت إلهة السماء، بينما يقع جب إله الأرض قابعا عند قدميه[٢٥].

وعلى أية حال فقد وردت أقدم إشارة إلى وحدة الأرض والسماء ثم انفصالها في متون الأهرام أرقام ٤٢٧-٤٣٤ التي تتلى أثناء إنزال الغطاء على التابوت الذي يحتوى على جثمان الملك المتوفى، إذ كان التابوت يمثل الأرض بينما يمثل غطاؤه السماء، وذلك على النحو التالي: "(يقول الكاهن) أي نوت ابسطي جناحيك فوق ابنك أوزير واستريه من ست، واحفظيه منه..أي نوت هل جئت لتخفى ابنك؟ (كلمات يقولها جب) أي نوت، لقد أصبحت روحا وبت قوية في بطن أمك تفنوت قبل أن تولدي ما أقوى قلبك. لقد تحركت في بطن أمك باسمك نوت حقا إنك ابنة أقوى من أمها... أيتها الواحدة القوية، يا من صرت السماء، لك السلطان، وأفعم جمالك كل مكان، بينما تتلقى الأرض تحتك خاضعة لسلطانك، أحطت الأرض قاطبة وكل ما فيها بذراعيك. إنني جب وسأضاجعك باسمك السماء، وسأضم لك الأرض قاطبة في كل موضع يا من سموت عن الأرض، ويحملك أبوك شو، إن قوتك تفوق قوته، إذ أفرط في حبك حتى وضع نفسه – وما جاوره – تحتك، هكذا استحوذت على كل إله مع قاربه السماوي، ولأنك "ذات الأرواح الألف" علمتهم ألا يفارقونك – مثل النجوم"[٢٦].

ويبدو واضحا من خلال هذه المتون مدى الأخطار التي كان يتعرض لها المتوفى المتجسد في شخصية أوزير الراقد في الأرض من قبل الإله ست. كما يوضح أيضا أنه بينما يستقر الغطاء على التابوت تتحد السماء بالأرض، وهو الرمز المستمد من مفهوم المصري القديم عن وحدة الأرض والسماء في البدء، في اتحاد جنسي، لذا عندما تصور الشعائر أن السماء تهبط على الأرض، تعنى أن نوت تضاجع جب[٢٧].

---

[٢٤] جورج بوزنر وآخرون: معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة أمين سلامة، ومراجعة سيد توفيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٢٠١- ٢٠٢.

[25] Houser-Wegner, J.,"Shu" In The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt,(ed.) by Redfrod, D.B., vol.3, The American University in Cairo Press, 2001, p. 285.

[٢٦] رندل كلارك: المرجع السابق، ص ٤٥-٤٦؛
حسن صابر: متون الأهرام المصرية القديمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٣٣-٢٣٥.
Armour, R.A., Gods and Myths of Ancient Egypt, p.38.

[٢٧] رندل كلارك: المرجع السابق، ص ٤٦-٤٧.
= كما أن تصوير الإلهة نوت على الأجزاء الداخلية لأغطية التوابيت فوق أجساد الموتى مباشرة إنما يعنى أن نوت تتلقى الموتى وتحملهم مرة أخرى كما تفعل بالشمس، فقد كانت أغلى أمنيات الموتى أن يرقدوا بين أحضان نوت كي يحيوا للأبد ما يعنى أنها تحتضن الموتى وتؤمن لهم التجدد والبعث وتكرار الولادة يوميا مثل الشمس.
Lesko, L.H., "Nut" In The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt, (ed.) by Redford, D.B., 2, The American University in Cairo Press, 2001, pp.558-559.

كما أشارت بعض متون الأهرام إلى دور الإله شو في فصل السماء عن الأرض منها المتن رقم ٧٨٤ أ "أيتها الواحدة المرتفعة فوق الأرض إنك مرتفعة فوق أبيك شو الذي لك السيادة فوقه" والمتن رقم ٧٨٤ ب "لقد أحبك بذلك أقام نفسه تحتك وكل الأشياء ملكك"[٢٨] والمتن رقم ١١٠١ "ذراعا شو تحت السماء لكي يحملها"[٢٩] والمتن ١٤٥٤أ "يدا نفركارع (ببى الثاني) تسندان نوت مثل شو"[٣٠] والمتن رقم١٤٧١ ب "....إلى شو الجميل (القوى) الذي ذراعيه تحت نوت"[٣١] والمتن رقم ٢٠٦٧ أ "إنك ترفع السماء بيدك، إنك تطأ (حرفيا: تضع) الأرض بقدمك" والمتن رقم ٢٠٩١ جـ "أي شو أنت الذي تحمل نوت إلى أعلى". كما ورد في أنشودة للإله شو من بردية ترجع إلى عصر الرعامسة "إنك تبسط السماوات عاليا وتجعلها ثابتة بيديك"[٣٢].

كما استمرت نصوص التوابيت في التعبير عن مفهوم فصل السماء عن الأرض، كما هو الحال في التعويذة رقم ٧٥ التي تتحدث عن تحول المتوفى إلى شو "أنا الذي اخترق قمة السماء"[٣٣] كما ورد في التعويذة رقم ٧٦ التي تتحدث عن تطابق المتوفى مع شو الذي فصل السماء عن الأرض: "أنا مرهق لأعمال الرفع التي قام بها شو منذ أن رفعت ابنتي نوت فوقى، حتى أعطيها لأبى آتوم في مملكته، وأجلست جب تحت قدمي. فهذا الإله (جب) عقد الأرضين لأبى آتوم، لقد جمعهما معا لنفسه...؛ لقد وضعت نفسي بينهما، ولكن التاسوع لا يستطيع رؤيتي"[٣٤].

أما التعويذة رقم ٧٨ فقد جاء فيها "أنا روح شو الذي وضعت نوت فوق رأسه وجب تحت قدميه وأنا بينهما"[٣٥]." كما ورد في التعويذة ٨٠ أن الإله آتوم قد حزن لأنه لا يوجد مكان يستريح فيه، فسأل الإله نون عن الوسيلة التي يمكنه بها أن يخلق الأرض فيجيبه بأن يقبل ابنته ماعت (يدنيها من أنفه)، بينما يجعل شو يحمله[٣٦]. كما يقول شو فى تعويذة أخرى: "أنا الحياة رب السنين سرمدي الوجود رب الخلود. الابن الأكبر الذي صنعه آتوم بجلاله، حينما أنجب شو وتفنوت في أون، وقت أن كان واحدا ثم بات ثلاثا، حينما فصل نوت عن جب، قبل مولد أول مجموعة متحدة. وقبل أن تأتى

---

[٢٨] إيريك هورنونج: وادي الملوك أفق الأبدية العالم الآخر لدى قدماء المصريين، ص ١٢٨.

[٢٩] محمد عبد اللطيف محمد على: المرجع السابق، ص ٣٧، ١١٨.

[٣٠] جون أ. ولسن: "مصر" في كتاب ما قبل الفلسفة، الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا ومراجعة محمود الأمين، بغداد ١٩٦٠، ص٦١.

[٣١] محمد عبد اللطيف محمد على: المرجع السابق، ص ٥٠.

[٣٢] أحمد محمد البربري: السماء في الفكر المصري القديم، الحضري للطباعة، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص٦٦.

[٣٣] محمد عبد اللطيف محمد على: المرجع السابق، ص٥٠-٥١، ١١٧.

[٣٤] Faulkner, R.O., The Ancient Egyptian Coffin Texts, p.73.

[٣٥] Ibid., p.77.

[٣٦] Ibid., p.81.

[٣٧] Faulkner, R.O., op.cit., pp.83-87.

الجماعتان التوأمتان، كانا معي في أنفي، وهو خلقني بأنفه، فخرجت من منخاريه، وحملني على عنقه ولم يدعني أبارحة"[٣٧]. وجاء في تعويذة أخرى: "وحينما يشرق شو أبو الآلهة يتلألأ النهر حوله بالضياء. فلتكن إذن قوتي قوة شو فأحمل تلك السماء حتى أبقي على تألقها. أمرت الذكور أن ينسوا الإناث حينما ترفع نوت كل إله إليّ. لقد تأثرت الحشود تأثراً كبيراً، وأفعمت السعادة الملايين وهم يؤدون إليّ التحية كاملة. إنني شو لكل إله، ولى الأرض والسماء ولى كل ما فيهما ولى أقطار الأرض أنا الحاكم لأنني فى قلب كل شيء"[٣٨].

كما تظهر أيضا إشارة في كتاب الموتى في الفصل السابع عشر إلى ما قام به شو عندما رفع الإله رع على ساعديه عالياً حتى عالم الآلهة على ظهر البقرة السماوية في أعقاب ثورة البشر عليه على النحو التالي: "ترى من يكون، إنه رع عندما يبدأ في حكم ما خلقه، عندما يتجلى متألقا للمرة الأولى، بصفته ملك على خليقته، في حين أن أعمال الرفع التي قام بها شو لم تكن قد وجدت بعد"[٣٩]. وعند ميلاد الشمس في نهاية (الإيمى دوات) يدعى شو "الذي يفصل السماء عن الأرض في الظلام البدائي والذي تسد ذراعاه العالم الآخر (من جديد)"[٤٠]. كما تكرر ذكر فصل السماء عن الأرض في النصوص الجنائزية والأناشيد الموجهة إلى الآلهة وبخاصة الشمسية منها خلال عصر الدولة الحديثة[٤١].

كما جاء في نص من معبد ادفو موجه إلى خالق شو الذي ورد باسم (تاوى-تى) "إنه يحمل لك السماء فوق رأسه في اسمه شو، ويعطى (تاوى-تى) لك قوة جسد السماء في اسمك بتاح، إنه يحمل لك السماء بيديه في اسمه شو جسم السماء"[٤٢].

٢- أسباب فصل السماء عن الأرض

---

[٣٧] رندل كلارك: المرجع السابق، ص ٨٣.

[٣٨] نفس المرجع السابق، ص ٨٣-٨٤.

Faulkner, R.O., The Ancient Egyptian Coffin Texts, vol.II, Spells 355-787, Warminster, 1977, p.165, spell 554.

[٣٩] كلير لالويت: المرجع السابق، ص ٦٤-٦٥؛ فرانسواز دونان وكريستيان زفى كوش: الآلهة والناس في مصر من ٣٠٠٠ قبل الميلاد إلى ٣٩٥ ميلاديا، ترجمة فريد بوري، ومراجعة زكية طبوزادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٦٣.

Faulkner,R.O., The Ancient Egyptian Book of the Dead, (ed.) by Andrews, C., London, 1985, p.44.

[٤٠] te Velde, H., "Schu" in LA, V, p.736.

Id.,The Theme of the separation of Heaven and Earth, pp.161-162.

[٤١] Ibid., p. 161.

[٤٢] Budge, E.A.W., The Gods of the Egyptians or Studies in Egyptian Mythology, II, New York, 1969, p.90.

لم يكن فصل السماء عن الأرض بالنسبة للإنسان المصري القديم عملاً غير مبرر، وإنما كانت له دوافعه التي أوجدتها مخيلته، وأفصحت عنها نصوصه، إذ ترجع النصوص التي تتلى أثناء إنزال الغطاء على التابوت، السابقة الذكر، سبب رفع السماء بعيدا عن الأرض، إلى الإله شو، أبى كل من جب ونوت، الذي استنكر علاقتهما بسبب حبه وولعه الشديد بابنته نوت، مما جعله يبعدها عن زوجها جب، ثم يرفعها بوصفه الهواء إلى الأعالي وحملها بذراعيه، وبذا صارت نوت قادرة على ولادة النجوم، وأن تأخذها وتسمح لها بأن تسبح على بطنها (السماء). مما يدل على أن شو كان يحب نوت وأنه حطم زواجها من جب في ثورة غيرته.[٤٣] ويبدو أن فعلة شو هذه لم تقتصر على ذلك فحسب، بل كانت سببا في حزن جب حزنا شديدا على فراق اخته وزوجته فانهمرت دموعه بغزارة وشكلت المحيطات[٤٤].

غير أن هناك نصوص أخرى تذكر غير ذلك وترجع أسباب فصل السماء عن الأرض ورفعها إلى النزاع الذي نشب بين جب ونوت، بسبب غضب جب منها لأنها كانت تأكل أولادها كل مساء (النجوم)[٤٥] ويصف نص من الأوزيريون بأبيدوس حركة النجوم وهذا الحدث على النحو الآتي: "أنها تبحر إلى نهاية السماء (نوت) محيطة جسدها بالليل حين تبزغ وترى، وهى تبحر فى بطنها بالنهار بحيث لا تسفر ولا ترى. وتدخل بعد هذا الإله (أي ر ع) وتخرج من بعده. وهكذا أبحرت من بعده فيما رفع شو...ودخلت فم نوت فى موقع رأسها فى الغرب، وهكذا أكلتها. وهكذا تشاجر جب مع نوت لأنه كان غاضبا عليها لأكلها صغارها، إن اسمها "الخنزيرة التي تأكل خنيزيراتها" لأنها أكلتها. ولذلك أقلها أبوها شو ورفعها على رأسه وقال احرسى جب، اجعلوه لا يتشاجر معها لأنها تأكل أطفالها ولسوف تلدهم وسوف يحيون، وسوف يخرجون من المكان الموجود في مؤخرتها في الشرق كل يوم"[٤٦].

ولهذا السبب فقد شبهت نوت بالخنزيرة التي تلتهم أولادها، حتى أنها عرفت بمجموعة من الألقاب التي تربطها بهذا الحيوان مثل (الخنزيرة التي تأكل أطفالها)[٤٧]،

---

[٤٣] رندل كلارك: المرجع السابق، ص ٤٧.

[٤٤] Simon, C., "Geb", in The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt, (ed.) by Redford, D.B., vol. 2, The American University in Cairo Press, 2001, p.7.

[٤٥] te Velde, H., The Theme of the separation of Heaven and Earth, p. 163.

[٤٦] ردولف أنتس: المرجع السابق، ص ٥١.

[٤٧] أحمد محمد البربري: المرجع السابق، ص ٥١؛

te Velde, H., op.cit., p.163; Hart, G., A Dictionary of Egyptian Gods and Goddesses, London, 1987, p. 145; Armour, R.A., op.cit., p.40; Griffiths, J.G., "Isis" In The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt, (ed.) by Redford, D.B., vol. 2, The American University in Cairo Press, 2001, pp.189-190.

و(الخنزيرة التي لا تشبع)[٤٨] ومن هنا جاء أيضا تمثيلها على هيئة خنزيرة. وربما يرجع السبب في ذلك إلى ما هو معروف عن الخنزير الذي يجسد عادة الشراهة الفائقة الحد والنهم[٤٩]. ومن ثم وبسبب هذا النزاع بين جب ونوت أمر الإله آتوم الإله شو بالفصل بينهما، فرفع شو الإلهة نوت عن الإله جب وأخبره ألا يتشاجر معها لأنها سوف تلد أولادها مرة أخرى من الشرق[٥٠].

٣- أهمية فصل السماء عن الأرض

يمثل فصل السماء عن الأرض أهمية خاصة في عملية الخلق، فعلى الرغم من اكتمال العناصر الأساسية للبناء الطبيعي للكون بخلق كل من شو وتفنوت وجب ونوت ممثلو الهواء والرطوبة والأرض والسماء، وفقا لأسطورة أون[٥١]، فإن الكون لم يكن مستعدا بعد لاستقبال مخلوقاته، إذ لم تكن الأرض صالحة بعد لجميع أنشطتها، سواء كانت إلهية أو بشرية أو حيوانية أو نباتية، لأن الحيز الفضائي الذي يقع بين السماء والأرض، واللازم لممارسة الأنشطة السابقة، لم يكن قد وجد بعد، وهو الفضاء الذي وفره شو، عندما رفع السماء عن الأرض، من أجل نمو الحياة على الأرض، إذ لم يكن هذا الحيز الفضائي خاليا ولكنه يحتوى على العناصر اللازمة لاستمرار الحياة[٥٢].

ومن ثم فإن فصل السماء عن الأرض ثم رفعها، تعد علامة فارقة بين اللانظام والنظام، فإذا كانت عملية الخلق، وفقا لأسطورة أون، قد بدأت بوجود آتوم الذاتي من فوق قمة التل الأزلي (بن بن) الذي انبثق بدوره من المياه أو اللانظام الأزلي (نون)، ثم قيامه بخلق كل من شو وتفنوت، فإن فصل السماء عن الأرض ورفعها إلى الأعالي، تعد البداية الحقيقية لنشأة العالم وفجر الحياة. إذ أنه منذ انفصال السماء عن الأرض، اتخذ الكون الشكل المألوف[٥٣]، وعمرت الأرض بالتدريج بكائنات من كل الأنواع، وأكتمل عمل خلق العالم الذي بدأه آتوم، واتضحت معالم العالم المشيد الذي كان بلا شكل وخلق المكان[٥٤].

كما أنه بإتمام هذه العملية، وبشغل شو المكان القائم بين السماء والأرض، انتشر الضوء الشمسي، ومن ثم سمح بوجود مجال خاص بإله الشمس، لأن هذه العملية حددت المجال الذي يقطعه الإله رع يوميا، كما أنها سمحت بوضع الميكانيكية الكونية

---

[٤٨] اريك هورنونج: ديانة مصر الفرعونية، الوحدانية والتعدد، ترجمة محمود ماهر طه ومصطفى أبو الخير، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٤٩.

[٤٩] ديمترى ميكس وكريستين فافار ميكس: المرجع السابق، ص ١١٤.

[٥٠] أحمد محمد البربرى: المرجع السابق، ص ١٨٠.

[٥١] Tobin,V.A., "Creation Myths" p.469.

[٥٢] Houser-Wegner,J., "Shu", p.285.

[٥٣] أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ٧٣-٧٤.

[٥٤] اريك هورنونج: فكرة في صورة ص، ٣٧.

بأكملها، وحددت إطار العالم المنظم الذي يندمج بداخله رع اندماجا مباشرا وماديا. وعلى الرغم من ابتعاد رع عن البشر بعد ثورتهم، ولكنه بالرغم من ذلك لم يحرمهم من ضوئه[٥٥]. كما أنه بعد هذا الانفصال عرف كل إله موضعه، وأصبح جب حاكما على الأرض، واستقلت نوت بالسماء، ومدت سلطانها على الآلهة، وعلى أرواحها، وما ورثوه وعلى أقواتهم وما يملكونه[٥٦].

وليس هناك من شك أيضا أن فصل السماء ورفعها عن الأرض قد ميز بين عالمين، الأول هو العالم المألوف، الذي يقع ما بين السماء والأرض، والذي يتوسطه مصر التي كانت وفقا للمصريين القدماء مركزه وقلبه النابض، وهو الأمر الذي يظهر جليا من خلال مناظر غطاء تابوت (ورش نفر) الذي عثر عليه في سقارة والمحفوظ حاليا في متحف المتروبوليتان للفن (شكل ١٤)[٥٧]، حيث يصور الإلهة نوت وهي تنحني فوق العالم، وقد اتكأت على أطراف أصابع قدميها ويديها لتمثل انحناءة القبة السماوية، كما رصع جذعها بالنجوم وأقراص الشمس لتظهر الرحلة الليلية لهذه الأجرام خلال العالم الآخر، كما هو الحال في المنظر الموجود بسقف الأوزيريون للملك سيتي الأول في أبيدوس. كما يظهر قرص الشمس المجنح مرة أمام فمها وأخرى أمام رحمها، في إشارة إلى غروب وشروق الشمس. ويظهر أسفل جسد نوت رأس وذراعا الإله شو الممدودتين، وهو يحمل قرص شمسي ضخم رقش جناحاه بالنجوم، كما يحمل أيضا قرصين آخرين مجنحين، في إشارة إلى سماء الليل وسماء النهار. وبين أيدي وأرجل نوت يظهر الإله جب على هيئة قدمين يعلوهما ذراعان مرفوعتان إلى أعلى.

ويظهر بين شو وجب دائرة كبيرة تصور العالم وكأنه مرفوع بين ذراعي الإله جب، أما الدائرة نفسها فهي عبارة عن مزيج معقد من المناظر، تمثل العالم المرئي في القمة والعالم الآخر أسفله. ويتوج قمة هذه الدائرة قرص الشمس المجنح الذي يمثل الشمس في سماء النهار، وتحتل مصر مركز هذا العالم الدائري، حيث يظهر أسفل قرص الشمس المجنح مياه النيل على شكل خطوط متموجة، تنبثق من كهفين جنوبي مصر، كما يظهر حول الدائرة الداخلية إلهة الغرب على اليمين وإلهة الشرق على اليسار، وهما يحملان مراكب إله الشمس عند الغروب والشروق، وأمام كل منهما آلهة

---

[٥٥] ديمتري ميكس وكريستين فافار ميكس: المرجع السابق، ص ٢٠٢-٢٠٤.

[٥٦] أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ٧٤.

[٥٧] يرجع هذا التابوت إلى بداية العصر البطلمي، إلا أنه مع ذلك يضم موادا ترجع جميعها إلى صميم التاريخ المصري القديم وتعتبر من أعمق المفاهيم المصرية عن الكون، والتي وردت في كل من متون الأهرام ونصوص التوابيت وكتاب الموتى وغيرهم من الآداب الجنائزية المصرية سواء من: آلهة (نوت وشو وجب وإلهة الشرق والغرب)، وتصور العالمين المرئي والآخر، وفكرة فصل السماء عن الأرض، ورحلة الشمس والنجوم على جسد الإلهة نوت، وتدفق مياه النيل من الجنوب، فضلا عن أقاليم مصر وجيرانها.

عناصر وقوى العالم. أما الأشكال البيضاوية التي تظهر في النصف الأسفل من هذه الدائرة فهي رموز لجيران مصر. أما الدائرة الداخلية فتمثل مصر نفسها، ممثلة بأعلام أقاليمها الأربعين في ذلك الوقت[٥٨]. وبذلك يتضح من خلال هذه المنظر أن الفراغ الموجود بين السماء والأرض قد حدد العالم المعروف للمصريين القدماء بكل عناصره الذي تتوسطه مصر بأرضها ونيلها وشعبها وقطعانها وسكانها ومن حولها جيرانها ومن فوق ذلك السماء ومن أسفله الأرض.

أما العالم الثاني فهو الكائن خلف جسم نوت، حيث يبدو واضحا من النصوص والمناظر المصرية أن فيما وراء السماء توجد مناطق لا تصل إليها الشمس مطلقا، ولا يعرفها أحد من الآلهة الأخرى، وهى مناطق خارجية غارقة دائما في ظلام دامس، لأن رع لا يشرق بها، وهى تعد بمثابة الملجأ النهائي للخالق الذي سوف يرجع إليها عند نهاية العالم. وهو الأمر الذي يعنى أن عملية رفع السماء إلى الأعالي قد حصرت الشمس في هذا الكون الذي يحدد كل تحركاتها وبذا تقوم بإنعاش عناصر هذا الكون[٥٩].

وليس هناك من شك أن هذه المناطق الغارقة في الظلام الدامس واللانهائية لم تكن سوى الإله (نون) نفسه الذي يمثل المحيط الكوني وفوضى ما قبل الخليقة – الذي كان يحتوى على بذور كل الأشياء وكل الكائنات قبل خلق العالم ووصف بأنه أبو الآلهة وكان يعتبر حياً بصفة دائمة[٦٠] – ويعنى اسمه "المائي"، فبما أن المصري القديم قد رأى السماء على أنها أتساع مائي، فإن الكون فيما وراءها هو أيضا ماء[٦١]، وبما أن تلك المياه كانت تحيط بالأرض التى تطفو على سطحها فى شكل قرص مسطح[٦٢]، فإن العالم كله كان عبارة عن فقاعة داخل هذا المحيط الكونى اللانهائي[٦٣].

وتظهر تلك الرؤية المصرية في هذا الحيز أو الفضاء الخارجي الذي يعلو جسد نوت (السماء)، الذي لا تدركه العقول ولا الأبصار، ولا يمكن أن يخطر على قلب بشر، بشكل جلي، في العديد من المناظر التي تصور فصل السماء عن الأرض أو في مناظر تصوير الإلهة نوت وهى تنحني فوق العالم لتشكل القبة السماوية، كما هو الحال فى زخرفة سقف الأوزيريون في أبيدوس، وفى مقبرة الملك رعمسيس الرابع بوادي الملوك، وفى برديتين ترجعان إلى القرن الثاني الميلادي[٦٤].

---

58 Allen, J.P., "The Egyptian Concept of the World" n Mysterious Lands, (eds.) O'Connor, D., and Quirke, S., UCL Press Institute of Archaeology, 2003, pp.28-29, fig.2:2.

٥٩ ديمتري ميكس وكريستين فافار ميكس: المرجع السابق، ص ٢٠٢.

٦٠ محمد عبد القادر محمد: الديانة في مصر الفرعونية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٢٢٨-٢٢٩.

٦١ Allen, J,P., The Egyptian Concept of the World, p. 25.

٦٢ ياروسلاف تشرني: المرجع السابق، ص ٦٤.

٦٣ Allen, J.P., op.cit., p. 25.

٦٤ Ibid., p.25.

إذ صور الفنان بسقف الأوزيريون (شكل ١٢) الإله شو وهو يرفع نوت وهى تنحني لتشكل القبة السماوية، وظهر جب كمسطح مستو أطلق عليه النص المصاحب للمنظر لفظة "رمال"، وفى نفس المنظر وصف الفضاء الموجود فوق جسد نوت والذي يمثل المحيط الكونى على النحو التالي: "أن مناطق السماء الشاسعة يغمرها الظلام الدامس، إنها لا تعرف حدوداً للجنوب والشمال والغرب والشرق، فهذه الاتجاهات تتلاشى في المياه الأولية حيث لا تستطيع أشعه البا (إله الشمس) أن تنفذ، فإنه لا يسطع هناك، مكان أرضه جنوبا وشمالا وغربا وشرقا مجهولة للآلهة والأرواح حيث لا يسطع نور هناك". ومن ثم يبدو واضحا أن هذا النص يحدد بشكل واضح الفضاء الخارجي فيما وراء جسد الإلهة نوت كحيز لانهائي من الماء (نون) يصعب للعناصر والقوى والكائنات التي تسكن العالم الوصول إليه[٦٥].

وفضلا عن هذا وذاك فقد كان وضع الإله شو وهو يسند بيديه السماء يشكل أهمية قصوى في اعتقاد المصري القديم الذي كان يرى خطرا في أن تكون قبة السماء كشيء معلق فوق الأرض بقوة رافعة فيها[٦٦]، وإلا تعرض الكون إلى خطر محدق، وكارثة حقيقية، من جراء سقوط السماء على الأرض، وخاصة أن المصري قد اعتقد أن الكون الذي تحميه الآلهة مهدد بأرواح أرضية، ولذلك فان توازن السماء والأرض لم يكن مستقرا تماما. كما كانوا يشكون في أن ست إله الفوضى يمكن أن يجعل السماء تسقط فوق الأرض، بل أنه ورد في ثنايا أحداث "الصراع بين حور وست" ما يؤكد أن الإلهة الأم الخيرة نيت هددت في إحدى ثوراتها بأن تسقط السماء على الأرض[٦٧] في حالة عدم تسليم عرش مصر إلى حور الوريث الشرعى لأوزير.

كما تظهر في النصوص السحرية عدة فقرات تتحدث عن سقوط السماء على الأرض ككارثة كونية، وإشارات ضمنية إلى توقف عملية الخلق والعودة إلى العالم الهيولى الأولى، وذلك أثناء قيام السحرة بإلقاء عبارات فك السحر، وتهديدهم للآلهة في حالة عدم تجاوبهم مع إرادتهم، فإنهم سوف يأتوا بالكارثة التي يخشاها الجميع "لن

---

65 Ibid., p.27.

عن منظر شو وهو يرفع نوت على ذراعيه وما يصحبه من نقوش بالتفصيل كما وردت بسقف الأوزيريون أنظر Id., Genesis in Egypt, pp. 1-7.

٦٦ جون أ. ولسن: المرجع السابق، ص ٦٠.

٦٧ te Velde, H., The Theme of the separation of Heaven and Earth, p.162.

كلير لالويت: المرجع السابق، ص ١٢٥.

كانت الأخطار التي تتربص بنظام الكون واستمراره والتهديد بعودته إلى فوضى ما قبل الخليقة متعددة وكثيرة، ولعل من أهم تلك الأخطار الثعبان أبو فيس الذي يرمز إلى كل ما هو فوضوي عديم الشكل حيث كان يتعرض لمركب إله الشمس محاولا إيقافها عن الدوران مما يعنى انتهاء الزمان والمكان وبالتالي تدمير كل ما هو موجود.

اريك هورنونج: وادي الملوك أفق الأبدية العالم الآخر لدى قدماء المصريين، ص ١٣٩.

توجد السماء ولن توجد الأرض، ولن توجد الأيام الخمسة تلك التي تكمل السنة، ولن تضيء السماء كما أن الفيضان الآتي في موعده لن يرتفع أبدا"، مما يعنى نهاية العالم والعودة إلى الفوضى[٦٨]. كما يصف سفر البقرة السماوية المجهود الضخم اللازم لتبقى السماء مدعمة وأن العنصر المهم إلى أقصى حد لهذا المجهود هو الزمن[٦٩].

وليس هناك من شك أن انهيار الفضاء سوف يؤدى إلى العودة لمرحلة البدء أو للحالة الأصلية التي كانت قبل الخلق، حيث كان الكل فيها واحدا أي عندما كان إله الشمس وحيدا داخل نون، حيث لم يكن معه سماء ولا أرض ولا بشر ولا آلهة أو حسب التعبير المصري: "قبل أن توجد السماء، قبل أن توجد الأرض، قبل أن يوجد البشر، قبل أن تولد الآلهة، قبل أن يوجد الموت"[٧٠]. فتكون النتيجة الطبيعية لذلك انسحاب شو من مكانه القائم بين السماء والأرض. واتحاد السماء والأرض مرة ثانية وتوقف الشمس عن أن تكون علامة نبض العالم المرئي، وغمر الماء البدائي والظلام الكون مرة أخرى، وسيادة العماء السائل الخامل اللاعضوى، ولن يبقى غير الإله، وفى شكل ثعبان سوف يعود إلى العالم الهيولى الأولى الذي نشأ منه ذات مرة[٧١].

ويصف الفصل ١٧٥ من كتاب الموتى هذه الحالة السيئة النهائية للأمور والعودة إلى العالم الأولى اللامحدود واللازمنى واللاعضوى، حيث يخاطب آتوم المتوفى قائلا "أن مصيرك ملايين الأعوام، فترة حياة ملايين الأعوام. لكنى سوف أدمر كل ما خلقته وستعود هذه البلاد إلى حالة النون، حالة المياه، مثل حالتها الأولى. سأصبح ما يبقى، مع أوزير، حينما أتحول من جديد إلى ثعبان، لا يمكن للبشر معرفته ولا للآلهة أن يروه"[٧٢]. وهكذا يبدو واضحا أنه عند انتهاء العالم لن تكون هناك آلهة أو بشر، كما يوضحه نص بطلمى فى معبد اوبت بالكرنك "لا يوجد إله ولا توجد آلهة، الإله سيحول نفسه أو نفسها إلى حية مرة أخرى" أو "أن هذا الإله الأولى المتحول سيكون وحيدا، ولن يكون لديه شهود على وجوده بعد". ومن ثم يبدو واضحا أن الآلهة المصرية تبدأ فى موعد، تولد أو تخلق، وتكون عرضه لتغير مستمر وتكبر وتموت وفى النهاية تختفى ثانية فى أعماق حالة الهيولى البدائية للعالم[٧٣]. وهو ما يعكس أن

---

[٦٨] فرانسواز دونان وكريستيان زفى كوش: المرجع السابق، ص ١٤٢.

[٦٩] اريك هورنونج: فكرة في صورة، ص ٣٨.

[٧٠] فرانسواز دونان وكريستيان زفى كوش: المرجع السابق، ص ٦٠؛
Tobin,V.A., Creation Myths, p. 469 .٥٧١ حسن صابر: متون الأهرام المصرية القديمة، ص

[٧١] اريك هورنونج: فكرة في صورة، ص ٣٩.

[٧٢] اريك هورنونج: ديانة مصر الفرعونية، ص ١٦٥-١٦٦؛
فرانسواز دونان وكريستيان زفى كوش: المرجع السابق، ص ٨٣.
Faulkner,R.O., The Ancient Egyptian Book of the Dead, p.175.

[٧٣] اريك هورنونج: ديانة مصر الفرعونية، ص ١٦٦، ١٦٨.

خلق العالم يحمل بداخله بذور التحلل بواسطة الشيخوخة والاضمحلال، حتى يمكن أن يحدث التجديد وإعادة الشباب[٧٤].

ومن أجل الإبقاء على شكل الكون والحفاظ عليه بالشكل الذي جسده المصري القديم في العديد من النصوص والمناظر، فقد حرص على وجود دعامة للسماء يستطيع رؤيتها، فكان منظر الإله شو وهو يرفع بيديه القبة السماوية، للإبقاء عليها في الأعالي. وعلى الرغم من انتشار مثل هذه المناظر على وجه التحديد، فإنها لم تكن الوحيدة من نوعها، فقد يصور عوضا عنها أحيانا وجود قوائم أربع مغروسة في أقاصي الأرض تحمل ثقل السماء، كما تدل بعض العبارات مثل "لقد نشرت رعبك حتى أعمدة السماء الأربعة" و "(ثابت) كالسماء المستقرة على أعمدتها الأربعة"، ويدل العدد أربعة على أنها موضوعة عند نقاط الجهات الأربع الأصلية[٧٥]. ولم يكتف المصري بذلك فقد رأى أن السماء قد يكون هناك ما يرفعها غير هذه القوائم فتخيل السماء وهى ترتكز على جدران، أو إلهة تمس ذراعاها وقدماها الأرض.

ومن ثم يبدو واضحا أن المصري القديم رأى عدة دعائم للسماء، وتجاهل ما فيها من تناقض، كما أنه لم يجد ضيرا في أن الصورة الواحدة يمكن أن تكون بديلة للأخرى، أو أن يذكر هذه الأفكار المختلفة عن السماء مجتمعة في النص الواحد، أو يكتفي بأي منها حسب موقفه، وخاصة وأنه كان يجد في كل فكرة ميزتها في كون سيال لا يصعب فيه على الآلهة شيء، ذلك لأن لديه مقاييسه الخاصة بالصدق والإقناع، والتي لا يرى من خلالها نفسه مناقضا لنفسه، فصور السماء ودعائمها المختلفة كانت تملأ نفس المصري القديم بالثقة في أنها كلها ثابتة باقية، ولأن كل صورة يمكن أن تعتبر مكملة للأخرى لا مناقضة لها[٧٦]. وفضلا عن ذلك فليس هناك من شك أن كثرة تلك الدعائم إنما تدل على أهمية ماهية وجوهر السماء وعظم شأنه، والذي يعجز رمز واحد أو فكرة واحدة مهما كانت تتمتع به من عبقرية عن استيعابه، ومن هنا ظهرت كثرة تلك الرموز والأفكار بهدف التوضيح، وهو الأمر الذي أسهم في النهاية في إظهار جمال المنظر وحيوية تمثيل السماء بالكلمات والمناظر[٧٧].

وعلى أية حال تظل عملية فصل ورفع السماء عن الأرض واحدة من أهم مراحل الخلق في نظر المصرى القديم، وواحدة من المناسبات التى كان يحتفل بها فى مواقيت محددة، منذ عصر الدولة الحديثة، كما يتضح ذلك من تقاويم العديد من المعابد

---

[٧٤] اريك هورنونج: فكرة في صورة، ص ٣٩.
[٧٥] جون أ. ولسن: المرجع السابق، ص ٦٠-٦١.
[٧٦] نفس المرجع السابق، ص ٦١.
[٧٧] ردولف آنتس: المرجع السابق، ص ١٩-٢٠.

المصرية[٧٨]، مثل تقويم معبد مدينة هابو للملك رعمسيس الثالث[٧٩]. كما ورد في ترنيمة كانت تنشد فى معبد إسنا إلى الإلهة نيت ذكر "يوم عيد رفع السماء"[٨٠].

٤- مناظر فصل السماء عن الأرض

لم تظهر عملية فصل السماء عن الأرض في المناظر المصرية القديمة إلا في نهاية عصر الدولة الحديثة، حيث مال المصريون إلى تصويرها على التوابيت[٨١]، كما ظهرت ببعض لفائف البردى التى ترجع إلى نفس الفترة، ثم ظهرت على توابيت الأسرة الحادية والعشرين[٨٢]. ويرجع الجزء الأكبر من هذه المناظر إلى الفترة الوجيزة نسبيا للأسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين[٨٣]، هذا بالإضافة إلى بعض المناظر القليلة الأخرى التي ترجع إلى العصور التالية، والتى تختلف بوضوح فى التفاصيل المرسومة عن المناظر المألوفة للأسرتين السابقتين[٨٤]. ويتفق أغلب العلماء على عدم ظهور أي منظر لكل من جب ونوت قبل ذلك التاريخ، على الرغم من شيوع فكرة قيام شو بفصل السماء عن الأرض في متون الأهرام ونصوص التوابيت وكتاب الموتى وغيرهم من الآداب الجنائزية المبكرة[٨٥].

وعلى الرغم من هذا التأكيد على عدم ظهور منظر فصل السماء عن الأرض قبل أواخر عصر الدولة الحديثة، إلا أنه يتضح من خلال المناظر الموجودة بسقف الأوزيريون بأبيدوس (شكل ١٢) الذي يرجع إلى عهد الملك سيتي الأول ثاني ملوك الأسرة التاسعة عشرة، ظهور منظر الإله شو وهو يرفع الإلهة نوت بذراعيه إلى الأعالي، وذلك على الرغم من عدم ظهور الإله جب بشكله المألوف، وظهوره على هيئة سطح مستو أطلق عليه النص المصاحب اسم "رمال"[٨٦]. كما ظهر منظر مشابه في مقبرة الملك رعمسيس الرابع بوادي الملوك (شكل ٥)[٨٧].

---

٧٨ te Velde, H., The Theme of the separation of Heaven and Earth, .161.

٧٩ KRI, V,178.

٨٠ كلير لالويت: المرجع السابق، ص ٢٠٤.

٨١ رندل كلارك: المرجع السابق، ص ٤٥.

٨٢ اريك هورنونج: فكرة في صورة، ص ٣٧.

٨٣ حكمت الأسرة الحادية والعشرين في الفترة من ١٠٦٩-٩٤٥ ق.م. كما حكمت الأسرة الثانية والعشرين في الفترة من ٩٤٥-٧١٢ ق.م.
Clayton, P.A., Chronicle of the Pharaohs, London, 1995, pp.174-189.

٨٤ te Velde, H., The Theme of the separation of Heaven and Earth, pp.166-167.

85 Ibid., pp.166-167.

رندل كلارك: المرجع السابق، ص ٤٥، ٢٤٥؛ اريك هورنونج: فكرة في صورة، ص ٣٧.

٨٦ Allen,J.P., The Egyptian Concept of the World", pp.25-26, fig.2:1.

٨٧ أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ١٦، شكل ٣.

وليس هناك من شك أن معرفة الإنسان القديم بأساطير وقصص الآلهة أي بتاريخه المقدس كان أمرا ضروريا لأنها من جهة تعطيه تفسيرا لأسرار الكون وعن كيفية وجوده بالذات فيه، ومن جهة أخرى يستطيع من خلال معرفتها المعرفة اليقينية وإعادة وقائعها أن يعيد ما صنعته الآلهة في البدء[٨٨]. بل إنه يستطيع أيضا من خلال تصوير تلك المناظر على كتبه الجنائزية أو توابيته أو داخل مقابره أن يندمج داخل هذا الكون باعتباره أحد مفرداته.

وعلى أية حال يعد كل من شو وجب ونوت محور هذه المناظر، وأهم عناصرها، هذا بالإضافة إلى بعض الآلهة والإلهات والرموز الدينية الأخرى، ومن الجدير بالذكر أنه لم يصحب هذه المناظر نصوص تفسيرية، تتحدث عن اتحاد السماء والأرض أو انفصالهما.

نـــوت

تظهر نوت في مناظر فصل السماء عن الأرض على هيئة أنثى عظيمة الحجم، عارية تماما، ينسدل شعرها الأسود الغزير خلف ظهرها، ويزين رسغيها أحيانا بعض الأساور. وتنحني نوت فوق إله الأرض جب، وقد اتكأت على أطراف أصابع قدميها ويديها، لتشكل قبو السماء أو انحناءة القبة السماوية، بحيث تلمس قدماها ويداها الأرض (جب)[٨٩] (شكل ١-١١). وتمتد في بعض الأحيان أيدي وأرجل نوت أسفل مستوى سطح الأرض بقليل (شكل ١٢) وهو ما يعد دليلا على أن المصري القديم كان مدركا لاستدارة الأرض فيما وراء الأفق المنظور[٩٠]. وليس هناك من شك أن هذا الوضع الخاص بالإلهة نوت إنما يعنى أن كل من أصابع يدها وأقدامها تلمس الجهات

---

٨٨ te Velde, H., op.cit., pp.166-167.

فاضل عبد الواحد على: "أناشيد الزواج المقدس لتموز ونشيد الإنشاد لسليمان" مجلة سومر، الجزء الأول والثاني، المجلد الرابع والثلاثون، بغداد، ١٩٧٨، ص ٢٠، هامش ١.

89 على سبيل المثال منظر موجود على الجدار الخارجي للتابوت الداخلي للمدعو (نانى) بطيبة الغربية يرجع إلى الأسرة الحادية والعشرين وهو محفوظ حاليا في متحف المتروبوليتان للفن بنيويورك. ايريك هورنونج: فكرة فى صورة، ص ٣٦، شكل ٩.

وهناك منظر آخر على تابوت كاهنة الإله أمون المدعوة (تاوى حنوت) من الأسرة الحادية والعشرين وهو محفوظ حاليا في متحف Bolton .

Thomas,A.P., Egyptian Gods and Myths, London, 1986, p.38, fig.33.

ومنظر آخر على بردية عثر عليها بالدير البحري، وهى جزء من كتاب الموتى الخاص بفتاة تدعى (نسيتانب تاشرو) وهى ابنة بانجم الأول الكاهن الأكبر لآمون في الأسرة الحادية والعشرين، وهى محفوظة حاليا بالمتحف البريطاني بلندن. وليم هـ.بيك: فن الرسم عند قدماء المصريين، ترجمة مختار السويفى، ومراجعة أحمد قدري، هيئة الآثار المصرية، القاهرة، ١٩٨٧، الصورة ٥٥.

٩٠ Allen,J.P., op.cit., p.25, fig.2:1.

الأربع الأصلية[٩١]. أو أن أرجل وأيدي السماء في هذه الحالة والتي تستند عليها تمثل الأعمدة الأربعة التي يفترض أن السماء تستقر عليها وتحدد الاتجاهات الأصلية الأربعة[٩٢]. أو أن أرجل وأيدي السماء عندما تظهر على هيئة امرأة، أو على أرجلها الأربعة عندما تأخذ شكل بقرة، والتي تستند عليها، هي عبارة عن الاتجاهات الأصلية الأربعة[٩٣]. وأحيانا تظهر تلك العلامات الأربع التي تمثل الأعمدة الأربعة أسفل نوت وبين ذراعي شو المرفوعتين في بعض مناظر فصل السماء عن الأرض (شكل ٤)[٩٤]. ومن الواضح أن ما دفع المصري القديم إلى تصوير الإلهة نوت على هذه الهيئة المنحنية هو ما لاحظه من تقوس الشكل الكوني للسماء التي تبدو للناظر كأنها تنطبق على الأرض عند الأفقين[٩٥].

أما رأس نوت فكان في الغرب، وهو المكان الذي تغرب فيه الشمس، كما هو واضح من النقش التالي: "رأسها هو (الأفق) الغربي وفمها هو الغرب". أما نصفها الأسفل وفخذيها التي يولد رع من بينها يوميا ففي الشرق أو حسب التعبير المصري القديم "الأفق الشرقي"[٩٦]. أما كلمة الأفق فهي تعنى خط الاتصال بين العالم الآخر والأفق المرئي، وهو يمثل التفسير المصرى لحقيقة بقاء الضوء لبعض الوقت بعد غروب الشمس وظهوره قبل شروقها[٩٧]. ولكي يسمح جسد نوت بإعطاء صورة أكثر تلاحما لإدراك العالم، ومن أجل أن تدمج به الجهات الأصلية الأربع، حددت بعض النصوص مكان رأس نوت جهة الشمال الغربي ونصفها الأسفل جهة الجنوب الشرقي. مما يعنى أن رع يولد من الجهة الجنوبية الشرقية بالسماء[٩٨].

وأحيانا ما يزين جسم نوت كليا أو جزئيا بأجرام السماء (شكل٣-٤، ٨، ١٠-١١)[٩٩]. أو يظهر أمام فمها أحيانا قرص الشمس المجنح (شكل ٥)[١٠٠]، وهو ما يعكس

---

٩١ Hart,G., A Dictionary of Egyptian Gods and Goddesses,p.144.

٩٢ Budge,E.A.W., The Gods of the Egyptians, p.104.

٩٣ ياروسلاف تشرني: المرجع السابق، ص ٢٦٩، هـ ٢٥.

٩٤ Budge,E.A.W., The Mummy: A Handbook of Egyptian Funeray Archaeology, New York, 1925, p.372

عن قوائم وحدود السماء أنظر: أحمد محمد البربري: المرجع السابق، ص ٦٨-٧٢.

٩٥ محمد عبد اللطيف محمد على: المرجع السابق، ص ٤٣.

٩٦ محمد عبد القادر محمد: المرجع السابق، ص ١٩.

٩٧ Shorter,A.W., The Egyptian Gods, p.28; Allen, P.J., op.cit., p.27. Allen,J.P., op.cit., p. 27.

٩٨ ديمتري ميكس وكريستين فافار ميكس: المرجع السابق، ص ٢٠٥-٢٠٦.

٩٩ جيمس هنرى برستيد: تطور الفكر والدين فى مصر القديمة، ترجمة زكى سوس، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة ١٩٦١، لوحة ٤١؛ ديمترى ميكس وكريستين فافار ميكس: المرجع السابق، لوحة 12؛ أحمد محمد البربرى: المرجع السابق، ص ٨٥، شكل ٢٢؛

أحد التفسيرات لدورة الشمس اليومية التي تذهب إلى الاعتقاد بأن نوت تبتلع الشمس عند الغروب، وتلدها من جديد في الصباح[١٠١]. وهو ما يعنى أن الجزء الداخلي من جسد نوت، فى هذه الحالة، يمثل العالم الآخر، الذي تمر الشمس فيه أثناء رحلتها خلال الليل، كما هو واضح من النص التالى "يدخل هذا الإله فمها داخل العالم الآخر"[١٠٢]. وأحيانا يصحب نوت في بعض المناظر نقش يصفها على النحو التالى "كلمات تقولها نوت الإلهة الأولى التي تلد الآلهة (النجوم) وتخلق الشمس حتى تسود على أرجاء الأرضين"[١٠٣] أو "الإلهة نوت الابنة وليدة الآلهة".[١٠٤]

وفى بعض الأحيان صورت السماء كبقرة ضخمة هي الإلهة (محت ورت) التي يسبح على بطنها اله الشمس في مركبه[١٠٥]، يقوم برفعها الإله شو وفقا لما ورد في سفر البقرة السماوية، والتي تمثل وصفا للتنسيق الجديد للكون، والمصور في عدد من المقابر الملكية بوادي الملوك مثل مقبرة الملك توت عنخ أمون (شكل ١٣) وسيتي الأول ورعمسيس الثاني ورعمسيس الثالث[١٠٦].

وأحيانا أخرى تظهر السماء على هيئة لوحة ملونة باللون الأزرق ترمز إلى الماء أو السماء، يقوم شو برفعها بذراعيه إلى أعلى، في حين يختفي جب من أمثال تلك المناظر[١٠٧]، وهو ما يدل على أن المصري القديم كان يتصور السماء وكأنها مسطح مائى واسع، مثل النيل والبحر، أزرق خلال النهار، وأسود أثناء الليل، كما أشارت النصوص المبكرة إلى كل من مياهها وشواطئها، وسميت السماء تبعا لذلك أحيانا "الماء البارد" وكذلك "حوض" كما أن اسم إلهة السماء نوت ربما يعنى

Budge, E.A.W., op.cit., p.104-105; te Velde, H., op.cit., p. 164

١٠٠ أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ١٦، شكل ٣؛ Allen,J.P., op.cit., p.25, fig.2:1.

101 Ibid., p.25.

يعبر هذا التصوير عن الآمال القديمة في نصوص الأهرام حيث يتمنى الملوك أن يعدوا من النجوم على جسد نوت كي يشاركوا في السبل الأكيدة التي لا تتغير للنجوم.

اريك هورنونج: وادي الملوك أفق الأبدية العالم الآخر لدى قدماء المصريين، ص ١٢٨.

١٠٧ Allen, J.P., op.cit., pp.25-26.

١٠٣ رندل كلارك: المرجع السابق، ص ٢٤٥، لوحة ٣.

١٠٤ أحمد محمد البربري: المرجع السابق، شكل ٢٤.

١٠٥ محمد عبد القادر محمد: المرجع السابق، ص ١٩. Shorter,A.W., op.cit., p.28.

١٠٦ كلير لالويت: المرجع السابق، ص ٥٧-٦٣، ٧١، هـ ١.

١٠٧ انظر منظري رحلة إله القمر وإله الشمس في مقبرة (با ننتيو) بقرية قصر سليم بواحة البحرية من الأسرة السادسة والعشرين. أحمد فخري: الصحراوات المصرية، المجلد الثاني، واحات البحرية والفرافرة، ترجمة جاب الله على جاب الله، ومراجعة شوقي عبد القوى عثمان، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة،١٩٩٩، ص١٦٣-١٦٧، شكل ٧٢، ٧٣.

"المائية"[١٠٨]. كما أطلق على السماء أيضا "البحر الذي يجرى تحت بطن نوت" أما المطر فكان يأتي بطبيعة الحال من تلك "المياه الحية الموجودة في السماء"[١٠٩]. كما دعيت أيضا "مثل نجم يعبر البحر تحت جسم نوت"[١١٠]. ومن ثم فقد تخيل المصري القديم سفن الشمس والنجوم تبحر خلال السماء في هذا البحر.

ولعل من الجدير بالذكر الإشارة إلى أن المصري القديم اعتقد أن مادة السماء كانت من الحديد، إذ ورد في متن الأهرام رقم ٢٥٧ الذي يتحدث عن تطابق الملك مع الشمس "هناك اضطراب في السماء، نرى شيئا جديداً، تقول الآلهة الأزليون. أيها التاسوع، حور في ضوء الشمس، مالكو الهيئات يقدمون له التحية. ويخدمه التاسوعان، لأنه يجلس على عرش سيد الجميع، يمتلك الملك السماء، ويشق حديدها"[١١١]. كما ورد في متن الأهرام رقم ٤٦٩ الذي يتحدث عن التحاق الملك بمركب الشمس "وأبواب الحديد التي في السماء المرصعة بالنجوم مفتوحة لي"[١١٢]. كما ورد أيضا في بردية نسخنسو زوجة الكاهن الأكبر للإله أمون (باى نجم) الثاني من الأسرة الحادية والعشرين والمحفوظة الآن في المتحف المصري، وذلك ضمن أنشودة للإله أمون رع "وأنه أقام جداراً من حديد السماء وهو على قناته (السماوية) وليس في مقدور أحد أن يغير طريقه"[١١٣].

وربما يرجع هذا الاعتقاد إلى معرفة المصري القديم بأن أحد مصادر الحديد الخام الموجودة في البيئة المصرية شهبي أي سمائي، وخاصة وأنه كانت تسقط من الشهب في السماء قطع صغيرة أو مساحيق تتركب من الحديد أو تحتوى عليه - هذا بالإضافة إلى المصدر الأرضي الذي يوجد فيه الحديد على هيئة حبيبات صغيرة في بعض الصخور البركانية أو على هيئة كتل كبيرة - وقد استخدم المصري القديم الحديد الشهبي في صناعة بعض أدواته مثل الخرز والتمائم وبعض الأشياء الصغيرة الخاصة بالطقوس الدينية[١١٤]. ومن ثم فقد كان من اليسير أن يدرك المصري القديم أن مادة السماء كانت من الحديد الشهبى الذي كان يسقط منه أجزاء في بعض الأحيان على الأرض، وأن تلك القطع المهشمة التي تصل إلى الأرض ما هي إلا قطع من الطبق

---

١٠٨ Allen.J.P., op.cit., p. 24.

١٠٩ أدولف إرمان: المرجع السابق، ص١٧.

١١٠ أحمد محمد البربري: المرجع السابق، ص ٧٦.

١١١ Faulkner, R.O., The Ancient Egyptian Pyramid Texts, Oxford, 1969, p.67.

١١٢ Ibid., p.158.

١١٣ سليم حسن: مصر القديمة، الجزء الثامن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠، ص ٧٧٥.

١١٤ الفريد لوكاس: المواد والصناعات عند قدماء المصريين، ترجمة زكى اسكندر ومحمد زكريا غنيم، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩١، ص ٣٧٥-٣٨٣.

المعدني الذي يمثل السماء[١١٥].

جـــب

ظهر جب في مناظر فصل السماء عن الأرض عادة كرجل عـاري، يرقـد جزئيا على جانبه تحت أقدام شو، ووجهه إلى أسفل، يتحسس الأرض بيـده اليسـرى الممدودة، وتستقر الأخرى على ركبته اليمنى، وكأنه يمثل الأرض المنبثقة من الميـاه البدائية (تاتنن)[١١٦]. وقد وصف في متون الأهرام بأنه يمد "أحد ذراعيه إلـى السـماء وبالأخرى تجاه الأرض"[١١٧] دلالة على علاقته بزوجته الإلهة نوت. وهو غالبـا مـا يظهر راقدا في نفس اتجاه زوجته الإلهة نوت، رأسه في الغرب ونصفه الأسفل فـي الشرق، غير أنه ظهر في منظر آخر وهو راقد في وضع مخالف للإلهة نوت، حيـث كان رأسه في الشرق، ونصفه الأسفل في الغرب، ويرى البعض أن ذلك ربما يرجـع إلى انتظاره لميلاد الشمس من جديد من رحم الإلهة نوت (شكل ٤)[١١٨].

ويبدو جب بوضعه الراقد على الأرض وكأنه يدافع عن زوجته، غيـر أنـه يظهر في وضع متعب. كما يظهر مرتفعا على كوع واحد، وبركبة مثنية تمثل الجبال وتموجات القشرة الأرضية، وكان أحيانا يغطى جسمه بالخضرة[١١٩]، أو يلون جسـمه باللون الأخضر[١٢٠]، إشارة إلى نمو النباتات التي تخرج منه، أو يغطى جسمه بالكامـل

---

[١١٥] محمد عبد اللطيف محمد على: المرجع السابق، ص ٣٩.

ترجم بعض العلماء كلمة (بيا) التي وردت بمعنى حديد في هذه النصوص بمعنى نحاس أنظر:-
Wb, I, 436, 438; Gardiner, A.H., Peet, T.E., and Cerny, J., The Inscriptions of Sinai, II, London, 1955, p.132.

أحمد بدوى وهرمان كيس: المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة، القاهرة ١٩٥٨، ص ٧١؛
Piankoff, A., The Pyramid of Unas, Bollingen series XL.5, Princeton University press, New York, 1968, p.35; Gardiner, S.A., Egyptian Grammar, Oxford, 1976, p. 564; Budge, E.A.W., An Egyptian Hieroglyphic Dictionary, vol.1, New York, 1968, p.210.

برناديت مونى: المعجم الوجيز في اللغة المصرية بالخط الهيروغليفي، ترجمة ماهر جويجـاتى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٨٨.

كما ترجم Faulkner في موضع آخر نفس الكلمة بمعنى برونز (؟)
Faulkner, R.O., A Concise Dictionary of Middle Egyptian, Oxford, 1972, p.80.

[116] te Velde, H., The Theme of the separation of Heaven and Earth, p.165.

[١١٧] Hart,G., A Dictionary of Egyptian Gods and Goddesses, pp.72-73; Budge,E.A.W., The Gods of the Egyptians, pp.97-98.

[١١٨] أحمد محمد البربرى: المرجع السابق، ص٨٦-٨٧، شكل ٢٦؛
Budge,E.A.W., The Mummy, p.223.

[١١٩] محمد عبد القادر محمد: المرجع السابق، ص ١٩٧.

[١٢٠] رندل كلارك: المرجع السابق، ص ٢٤٥، لوحة ٣.

بعلامة الحقل (شكل ١١)[١٢١]. أو يلون أحد جانبيه باللون الأسود للتعبير عن الأرض الخصبة السوداء، والجانب الآخر باللون الأحمر للتعبير عن الأرض الصحراوية الجرداء[١٢٢]. كما يظهر أحيانا على هيئة قطعة أرض مستطيلة (شكل ٥)[١٢٣].

ويظهر جب أحياناً وهو يرتدى قطعة بسيطة من القماش لستر العورة (شكل٣)[١٢٤]. كما يضع باستمرار الشعر المستعار الطويل الذي ينسدل على كتفيه، واللحية الإلهية، وصدرية عريضة متعددة الألوان تغطى صدره[١٢٥]، وهو يظهر عادة بدون شعارات خاصة، ولكن أحيانا توضع فوق رأسه إوزة وهى الصورة الهيروغليفية لاسمه[١٢٦] أو تظهر تلك الإوزة واقفة بجوار قدمه بمنقارها المفتوح أثناء القوقئة، كما يظهر أحيانا برأس ثعبان[١٢٧] (شكل ١٥). وأحيانا يظهر قضيبه مرخيا أو منتصبا تجاه زوجته الإلهة نوت[١٢٨]، في أشارة إلى اتحادهما الجنسي[١٢٩]. وتشير هذه المناظر إلى دور كل من جب ونوت كرموز أسطورية لقوة واستمرارية تدفق الحياة وعملية الخلق[١٣٠]. وغالبا ما ينعت جب في تلك المناظر بـ"أبو الآلهة" و"أمير كل الآلهة"[١٣١] و"سيد العالم الآخر"[١٣٢].

شـــو

ظهر شو في مناظر فصل السماء عن الأرض وهو يرفع السماء بذراعيه[١٣٣]– سواء ظهرت على شكل امرأة (شكل ١–٨، ١١) أو على شكل بقرة وفقاً لسفر البقرة السماوية في مقبرة توت عنخ أمون (شكل ١٣) وسيتى الأول[١٣٤]– أو وهو يحمل قارب إله الشمس الموجود أسفل جسد نوت بدل من رفع جسد نوت نفسها (شكل ١٠)[١٣٥] أو

---

121 Budge,E.A.W., The Gods of the Egyptians, pp.104-105.

١٢٢ محمد عبد اللطيف محمد على: المرجع السابق، ص ٣٠.

123 Allen, J.P., op.cit., p.25, fig.2:1. أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ١٦، شكل ٣؛

١٢٤ Hart,G., op.cit., p.73; te Velde, H., op.cit., p. 164.

ياروسلاف تشرني: المرجع السابق، ص ١١٥؛ وليم هـ. بيك: المرجع السابق، صورة ٥٥.

١٢٥ ايريك هورنونج: فكرة في صورة، ص ٣٦، شكل ٩.

١٢٦ محمد عبد القادر محمد: المرجع السابق، ص ١٩٧.

١٢٧ Budge,E.A.W., The Gods of the Egyptians, p.105.

١٢٨ Hart,G.,op.cit.,pp.72-73.

١٢٩ Ibid., p.143.

١٣٠ Tobin,V.A., Creation Myths, p.469.

١٣١ على سبيل المثال: ديمتري ميكس وكريستين فافار ميكس: المرجع السابق، لوحة١١، 12.

١٣٢ Budge, E.A.W., op.cit., p.95, pl.20.

١٣٣ Allen, J.P., op.cit., p.24.

١٣٤ أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ١٦، شكل ٢، ٣.

١٣٥ Budge, E.A.W., op.cit., p. 99,105.

وهو يرفع قرص الشمس فوق رأسه[١٣٦]. وقد صور شو في تلك المناظر على هيئة رجل، يرتدى اللحية الإلهية المعقوفة من طرفها السفلى، وهو يظهر أحيانا واقفا، وأحيانا أخرى راكعا فوق العلامة الدالة على الأرض يرفع السماء بذراعيه (شكل ١١)[١٣٧]. ويلاحظ أن يده اليمنى تحمل نوت من عند مكان شروق الشمس (الرحم)، بينما تحمل الأخرى السماء من عند غروبها (الفم)، مما يدل على دوره في عملية ولادة الشمس كل صباح[١٣٨]، وهو الأمر الذي أهلة، كإله للحياة لأن تكون له القدرة على "فتح أبواب الرحم"[١٣٩]. وليس هناك من شك أن أيدي شو القوية التي تحمل السماء كانت تمثل أشعة شمس الإله الذي يظهر نفسه في النور، كما كان شو نفسه الواقف بين السماء والأرض بمثابة عمود نور[١٤٠]. كما ظهر شو أيضا في التماثيل البرونزية والقاشاني على هيئة رجل راكع على ركبته اليمنى يحمل فوق كتفيه قرص الشمس والأفق بذراعيه المرفوعتين[١٤١].

ويرتدى شو عادة رداءً ضيقاً يبدأ من أسفل الصدر حتى أعلى الركبتين، ويتدلى من وسطه ذيل الثور، وتحلى صدره صدرية عريضة متعددة الألوان[١٤٢]، وأحيانا يظهر عاريا إلا من قطعة بسيطة لستر العورة[١٤٣] (شكل ٥). ويضع شو فوق رأسه ريشة، وهى الصورة الهيروغليفية لاسمه[١٤٤] (شكل ٦-٨، ١٠)، وأحيانا يضع علامة سعفة النخيل الدالة على السنين على رأسه[١٤٥] (شكل ٢-٣)، أو علامة مؤخرة الأسد وهي العلامة الدالة على القوة السحرية والقوة (حكا)[١٤٦] (شكل ٤)، أو قرص الشمس[١٤٧] (شكل ١). وأحيانا يحمل علامة الحياة (عنخ) في يديه[١٤٨]. وهو يلقب عادة

---

١٣٦ أحمد محمد البربري: المرجع السابق، ص ٢٠٥، شكل ١.

١٣٧ Budge, E.A.W., op.cit., p.104-105; Houser-Wegner, J., "Shu", p.285.

١٣٨ Budge,E.A.W., op.cit., p.89.

١٣٩ te Velde, H., "Schu", LA V, p. 736.

١٤٠ Ibid., p.736.

١٤١ Budge, E.A.W.,The Mummy, p.365.

١٤٢ ايريك هورنونج: المرجع السالق، ص ٣٦، شكل ٩.

143 أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ١٦، شكل ٣؛ Allen, J.P., op.cit., p.25, fig.2:1

144 Hart ,G., Egyptian Myths, London,1991, p.13; Id., A Dictionary of Egyptian Gods and Goddesses, p.200.

رندل كلارك: المرجع السابق، ص ٢٤٥، لوحة ٣.

١٤٥ وليم هـ بيك: المرجع السابق، صورة ٥٥؛ ديمتري ميكس وكريستين فافار ميكس: المرجع السابق، لوحة ١٢؛ te Velde,H.,The Theme of the separation of Heaven and Earth, p.164

١٤٦ Budge,E.A.W., The Mummy, p.372.

١٤٧ Budge,E.A.W., The Gods of the Egyptians, pl.20, p.95.

يارووسلاف تشرني:المرجع السابق، ص ٥٣؛ديمتري ميكس وكريستين فافار ميكس:المرجع السابق، لوحة ١١.

في تلك المناظر بلقب (شو بن رع)[١٤٩] أو "شو ابن رع الذى رفع نـوت عاليـا"[١٥٠] أو "شو العظيم الإله العظيم سيد السماء"[١٥١].

ومن الجدير بالذكر أن معظم مناظر فصل السماء عن الأرض، تكـاد تتفـق جميعها من حيث الشكل، إلا في بعض الحالات القليلة النادرة[١٥٢]، ولعـل مـن أكثـر المناظر اختلافا منظر مكون من شكلين[١٥٣] (شكل ١٥)؛ يصور الشكل الأول إله علـى هيئة الإلهة نوت، ذات الجسد العاري المزين بالنجوم، والمقوس فوق الأرض، يرتدى اللحية الإلهية ذات الطرف المقوس، ويظهر جهازه التناسـلي الـذكرى ذو القضـيب المنتصب. وبين ساقيه يظهر قرص الشمس، وبداخله الإله رع. كما يظهر أسفل هـذا الإله المعبود جب في وضع غير مألوف بالنسبة لمثل هذه المناظر، حيث يظهر مقلوبا، يعتمد على ساعديه المبسوطين على الأرض، ويرتفع جسمه إلى أعلى، بحث يسـتدير ساقاه بجوار وجهه، ويقوم بتلقيح نفسه، بتناول قضيبه المنتصب في فمه، وهى صورة قريبة من الطريقة التي استعملها آتوم أثناء خلق شو وقرينته تفنـوت، وذلـك عنـدما مارس استمناء ذاته، إلا أن الفارق بينهما أن الإله جب هنا استعمل فمه في اسـتمناء قضيبه، بدلا من استعمال يده كما فعل الإله آتوم[١٥٤]، ويصفه النقش الموجود بجـواره بأنه "جب أبو الآلهة، الإله العظيم الذي خلق الأرض وكل دائرة رع"[١٥٥].

أما الشكل الثاني فيصور نوت بشكلها المألوف، وهى تنحني فوق إله الأرض المصور برأس ثعبان، وحوله النقش التالي "الذي خلق من في العالم السفلى المختفـي، الإله العظيم الذي يكون على رأس منف سيد الأبدية". ويعتقد بيانكوف (نقلا عن أحمد البربري) أن الشكل الأول يضم كل من الليل (سماء الليل) - المجسد في شكل إله على هيئة نوت - والإله جب، أما الإله ذو رأس الثعبان في الشكل الثاني فهو يمثل الإلـه تاتنن الذي خلق العالم السفلى،[١٥٦] وخاصة وأن الأرض البارزة كانت أول ما ظهر من المياه الأزلية، ولذلك تساوى كل من جب وتاتنن، وظهرا معا في هذا المنظـر الـذي يعبر عن نظرة المصري القديم للكون وفقا لنظرية أون[١٥٧].

---

١٤٨ رندل كلارك: المرجع السابق، ص ٢٤٥، لوحة ٣.

١٤٩ Budge,E.A.W., op.cit., pl.20, p.95.

١٥٠ رندل كلارك: المرجع السابق، ص ٢٤٥، لوحة ٣.

١٥١ ياروسلاف تشرنى: المرجع السابق، ص ٥٣.

١٥٢ أحمد محمد البربري: المرجع السابق، ص ٨٣-٨٦.

١٥٣ نفس المرجع السابق، ص ٨٥-٨٦، شكل ٢٤، ٢٥.

١٥٤ رندل كلارك: المرجع السابق، ص ٣٩-٤١.

155 te Velde, H., Geb, p.429.

١٥٦ أحمد محمد البربرى: المرجع السابق، ص ٨٥-٨٦، شكل ٢٤، ٢٥.

١٥٧ نفس المرجع السابق، ٨٦.

وبالإضافة إلى كل من نوت وجب وشو فقد شاع في تلك المناظر أيضا ظهور بعض الآلهة الأخرى؛ كالإله جحوتى كاتب التاسوع ذو رأس أبو المنجل وهو يحمل العلامة الدالة على الغرب أمام الإلهة نوت[١٥٨] (شكل ٢، ٧) والإلهة وادجيت خلف نوت بجوار علامتي الشرق والغرب معا في نفس الجهة في أحد المناظر[١٥٩] (شكل ٢). كما ظهرت في منظر آخر كل من إلهة الغرب والشرق راكعتان على يمين ويسار الإله شو، فضلا عن العلامة الدالة على الغرب خلف الإلهة نوت، وهو ما يعد تناقضا فى تحديد الاتجاه الشرقي، إذ أشار إليه المنظر بالشرق تارة، والغرب تارة أخرى[١٦٠] (شكل ١). كما ظهرت علامة الشرق بجوار مؤخرة نوت، وعلامة الغرب بجوار رأسها[١٦١] (شكل ٣). وأخيرا ظهرت إلهة برأس ريشة، أسفل الإلهة نوت عند قدمي الإله جب، وهى ترفع يدها التي يتدلى منها علامات الحياة والسلطان[١٦٢] (شكل ١).

كما ظهرت أيضا في بعض تلك المناظر عدة كائنات إلهية أخرى، فضلا عن بعض الرموز التي أضيفت بعناية فائقة لتظهر الرؤية الهليوبوليتانية للكون؛ مثل الروح (با) التي تظهر غالبا على يمين ويسار الإله شو، بجسم آدمي ورأس كبش تسند ذراعى شو لتساعده على حمل عبء السماء (شكل ١، ٧، ٨)، فضلا عن طائر الروح بجوار قدم جب برأس بشرية وذراع آدمية في وضع تعبدي[١٦٣] (شكل ٧). كما ظهر الطائران ذوا رأس الكبش والأذرع الآدمية وهما روحان، حيث يرمز الكبش والطائر إلى الروح على نحو متبادل، وهما روحا الحياة والهواء تؤديان عملية الخلق[١٦٤] (شكل ٢، ٣)، وربما تعبر الروح (البا) أيضا عن روح المتوفى التي تتحرك بحرية بين السماوات والعالم الأخر عندما تغادر المقبرة.

كما ظهر أحيانا على يمين شو ويساره صقران، يمثل أحدهما الشمس المشرقة والآخر الشمس الغاربة[١٦٥] (شكل ١١). وأحيانا يظهر بجوار ساقى نوت مخلوق مركب من رأس تمساح وجذع ووسط أسد ومؤخرة فرس النهر يعرف باسم (عمميت)، وهو

---

١٥٨ ايريك هورنونج: فكرة فى صورة، ص ٣٦، شكل ٩؛ أحمد محمد البربري: المرجع السابق، ص ٢١٣، شكل ١٠؛ Thomas, A.P., Egyptian Gods and Myths, p.38, fig.33.

١٥٩ أحمد محمد البربري: المرجع السابق، ص ٢١٣، شكل ١٠.

١٦٠ Budge,E.A.W., The Gods of the Egyptians, p.99.

١٦١ te Velde, H., The Theme of the separation of Heaven and Earth, p.164.

١٦٢ ياروسلاف تشرني: المرجع السابق، ص ٥٣.

163 ايريك هورنونج: المرجع السابق، ص ٣٦، شكل ٩. Thomas, A.P., op.cit., p.38, fig.33.

١٦٤ رندل كلارك: المرجع السابق، ص ٢٤٥، لوحة ٣؛ وليم هـ بيك: المرجع السابق، صورة ٥٥؛ Hart,G., A Dictionary of Egyptian Gods and Goddesses, p.73.

١٦٥ Budge,E.A.W., op.cit., pl. 20, p.95, 104.

يظهر عادة في محكمة أوزير متأهبا لالتهام قلوب الموتى المذنبين من البشر[١٦٦]، كما عرف باسم (شاى) وهو يرمز أيضا لحيوان الإله ست الأسطوري[١٦٧]. وأحيانا أخرى يظهر كائن مركب على شكل أبو الهول[١٦٨] (شكل ٨). وأخيرا تظهر من تلك الكائنات العين المجنحة ذات الذراع الآدمية التي يتدلى منها علامة الحياة مرة خلف قدمي نوت ومرة أخرى أسفل صدرها، وهى تطير ناشرة الحياة[١٦٩] (شكل ٢، ٧).

كما تشغل رحلة إله الشمس مكانة مرموقة في تلك المناظر، فأحيانا يظهر قاربا الشمس على ساقي وذراعي الإلهة نوت، فيظهر الإله رع في المركب الأول المعروفة باسم (معنجت) وراء ساقي نوت، بصحبة كل من شو وتفنوت(؟) وهم يبحرون عبر اللجة المائية، ثم يظهروا سويا مرة أخرى على ذراعي نوت، وقد واصلوا الإبحار في المركب (مسكتت) حتى العالم الآخر، وهو ما يعبر عن رحلة الشمس عبر السماء[١٧٠] (شكل ٧). كما ظهر أيضا قارب إله الشمس أسفل جسم نوت وبداخله علامة الأفق فوق ذراعي الإله شو[١٧١] (شكل ١٠). كما ظهر القارب وبداخله الشمس في أوج تألقها وهى تتابع رحلتها أسفل بطن إلهة السماء لتسطع بنورها على الأرض[١٧٢] (شكل ٨). وأحيانا يظهر قارب إله الشمس على ظهر الإلهة نوت بصحبة كل من إيزة ونبت حت وحور[١٧٣] (شكل ٢). هذا بالإضافة إلى ظهور قارب الشمس حيث يوجد الإله رع على بطن البقرة الكبرى وفقا لسفر البقرة السماوية[١٧٤] (شكل ١٣).

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى عرى كل من الإلهة نوت والإله جب في تلك المناظر (إلا في بعض الحالات القليلة النادرة التي ظهر فيها جب وهو يرتدى ما يستر العورة)، وذلك على عكس الإله شو. ويرى كل من ديمتري ميكس وكريستين فافار ميكس أن العرى يعد علامة على الطفولة والصبا والغرارة والطهارة والنقاء لأن تلك الآلهة كانت منبثقة من المحيط الأولى ومن ثم فقد كانت مجردة من الدنس. ومن

---

١٦٦ Rossiter, E., The Book of the Dead, Papyri of Ani, Hunefer, Anhai, London, 1984, pp. 29, 82-83, 102-103; Faulkner, R.O., The Ancient Egyptian Book of the Dead, pp.14, 34.

١٦٧ رندل كلارك: المرجع السابق، ص ٢٤٥، لوحة ٣. عن هذا الكائن انظر: عبد الحميد سعد عزب سليمان: الكائنات المركبة في مصر القديمة، رسالة دكتوراه غير منشورة، طنطا، ١٩٩٨، ص ١٣١-١٣٤.

١٦٨ جيمس هنرى برستيد: المرجع السابق، لوحة ٤١؛
ديمترى ميكس وكريستين فافار ميكس: المرجع السابق، لوحة ١١.

١٦٩ اريك هورنونج: فكرة في صورة، ص ٣٦، شكل ٩؛ أحمد محمد البربري: المرجع السابق، شكل ١٠.

١٧٠ Budge,E.A.W., op.cit., pl.20, pp.95,104-105.

١٧١ Ibid., p.99.

١٧٢ ديمترى ميكس وكريستين فافار ميكس: المرجع السابق، لوحة ١١.

١٧٣ أحمد محمد البربري: المرجع السابق، شكل ١٠.

١٧٤ إيريك هورنونج: فكرة في صورة، ص٣٣، شكل ٨.

هذا المنطلق فهي تجسد طفولة العالم. ومن جهة أخرى يعبر عرى إلـه الأرض عـن قوى تناسلية كامنة على وشك التجلي. فضلا عن أن عرى نوت يعبر عن حمل واعـد بمولد جديد[١٧٥]. وهو الأمر الذي يتضح بصورة جلية من خلال منظر على شقفة ترجع إلى عصر الدولة الحديثة عليها منظر يصور الإلهة نوت وهى عارية تمامـا تحمـل الطفل الشمس في رحمها دلالة على سر إعادة الميلاد اليومي، بينما يشـير القضـيب المنتصب للغلام الناضج داخل رحم السماء إلى أنه السبب في إعادة ميلاده[١٧٦]. ومـن المحتمل أيضا أن عرى كل من جب ونوت يرتبط بعلاقاتهم الجنسـية، قبـل وبعـد انفصالهما جسديا، وهو الأمر الذي أدى إلى ميلاد أطفالهم الأربعة. أما ظهور شو في كامل ملابسه في معظم تلك المناظر فيعزى إلى عدم وجود نصوص أو مناظر تتحدث عن علاقته بزوجته تفنوت أو تروى ميلاد أولادهما جب ونوت.

وعلى أية حال يبدو واضحا أن ارتباط عرى كل من نوت وجب كان يقتصـر على مناظر فصل السماء عن الأرض على وجه التحديد، أما خـارج تلـك المنـاظر فيظهر كل منهما في كامل ملابسهما وحليهما، مثل منظر يمثل الإله رع فـي مركبـه ومعه كل من آتوم وشو وتفنوت وجب ونوت وأوزير وإيزة والملك توت عنخ آمـون، ويلاحظ في هذا المنظر أن كل من نوت وجب ظهرا في كامل ملابسهما مثـل بـاقي الآلهة الأخرى[١٧٧].

كما يوجد منظر آخر في مقبرة (بانتيو) بقرية قصر سليم بواحة البحرية التي ترجع إلى الأسرة السادسة والعشرين (شكل ١٦)، يصور الإله جب وخلفـه زوجتـه الإلهة نوت، حيث يرتدى جب تاج الوجه القبلي الأبيض فوق الشعر المستعار الطويل، ويحلى جبهته حية الكوبرا، كما يرتدى اللحية الإلهية، ويقبض بيـده اليسـرى علـى الصولجان واس، بينما يقبض بيده اليمنى على علامة الحياة. ويرتدى رداء ضيق يبدأ من أسفل الصدر حتى أعلى الركبتين، وهو مثبت بشريطين على الكتفين، ويتدلى مـن وسطه الذيل. أما الإلهة نوت فترتدي هي الأخرى رداء طويل ضـيق شـفاف يبـرز تفاصيل جسدها، يبدأ من أسفل الصدر وينتهي عند القدمين، وهو معلق بشريط علـى الكتف، كما ترتدي شعراً مستعاراً طويلاً مغطى بغطاء يمثل أنثى النسر المجنحة وحية الكوبرا، وفوق رأسها كلمة السماء[١٧٨]. وهناك منظر آخر لكل من جب ونوت ضـمن

---

[١٧٥] ديمترى ميكس وكريستين فافار ميكس: المرجع السابق، ص ١١٢-١١٣.

[١٧٦] اريك هورنونج: وادي الملوك، أفق الأبدية، العالم الآخر لدى قدماء المصريين، ص ١٢٧-١٢٩.

[١٧٧] أحمد محمد البربري: المرجع السابق، ص ١٨٢-١٨٣، شكل ٧٧؛
أنظر أيضا الفصل ١٣٤ من كتاب الموتى حيث يظهر قارب الشمس وبداخله كل من نوت وجـب- بصحبة حور وشو وتفنوت وأوزير وإيزة وغيرهم - وهما في كامل ملابسهما.
Faulkner, R.O., The Ancient Egyptian Book of the Dead, p. 25.

[١٧٨] أحمد فخري: المرجع السابق، ص١٦٨-١٦٩، شكل ٧٤.

مجموعة أخرى من الآلهة (رع حور آختى وآتوم وشو وتفنوت)، ويرتدى الإله جب تاج الصعيد الأبيض والزى الأوزيرى ويجلس على العرش، أما الإلهة نوت فترتدي تاج الوجه البحري الأحمر والزى الأوزيرى وتجلس على عرش آخر[١٧٩].

وعلى أية حال فقد أدى حرص المصري القديم على تضمين هذه المناظر أكبر قدر من الآلهة والكائنات الإلهية والرموز المقدسة إلى وجود بعض الأخطاء في هذه المناظر، مثل وصف المنطقة التي توجد بجوار رأس الإلهة نوت أحيانا بأنها الشرق، وأحيانا أخرى بأنها الغرب، وكذلك توجيه رأس الإله جب أحيانا إلى الشرق وأحيانا أخرى إلى الغرب[١٨٠]. وعلى أية حال تعتبر هذه المناظر بمثابة صور توضيحية في مجموعها لأحد المفاهيم التقليدية لقدماء المصريين في رؤيتهم للكون.

ثانيا: مفهوم فصل السماء عن الأرض في الفكر الديني القديم في بلاد الرافدين

ساد الاعتقاد في بلاد الرافدين بأن الأرض والسماء كانتا في البدء جبلا واحدا قاعدته قاع الأرض وذروته قمة السماء ثم انفصلتا عن بعضهما[١٨١]. هذا ويمكن تقسيم مفهوم فصل السماء عن الأرض بالنسبة لبلاد الرافدين إلى قسمين يتناول القسم الأول هذا المفهوم لدى السومريين، والآخر لدى البابليين، غير أن هذا التقسيم لا يعنى وجود حدود فاصلة بين المفهومين، أو أننا أمام فكر خاص بكل شعب يختلف في جوهره عن الشعب الآخر، ولكنه يعنى أننا أمام فارق لغوى وعرقي فحسب بين السومريين والبابليين، أما فيما عدا ذلك فإن الديانة في بلاد الرافدين تعد واحداً، فقد طور البابليون التراث السومرى ثم أدخلوا عليه الكثير من مقوماتهم، وذلك فيما عدا بعض الاختلافات التي تبرز الخصائص المميزة للسومريين أو البابليين.

١- مفهوم فصل السماء عن الأرض عند السومريين

لم يكتشف العلماء حتى اليوم أساطير سومرية تعالج بصورة مباشرة وبوضوح خلق العالم وإنما تتضمن بعض مقدمات الأساطير والملاحم، فضلا عن بعض العبارات المبعثرة في الوثائق الأدبية، بعض التصورات عن نشأة الكون وخلق البشر[١٨٢] حيث كان السومريون عادة ما يبدءون أساطيرهم أو قصائدهم الملحمية بمقدمات عن أصل الكون وذلك على النحو التالي:-

---

[١٧٩] ياروسلاف تشرنى: المرجع السابق، ص ٥٤.

أنظر أيضا مناظر الإلهة نوت وهى في كامل ملابسها: أحمد محمد البربري: المرجع السابق، ص ٢٢٣-٢٢٥، أشكال ٢٧-٢٩، ص ٢٢٩-٢٤١، أشكال ٣٣-٤٥.

[180] Budge,E.A.W., The Gods of the Egyptians, p.105.

[181] Kramer, S.N., Sumerian Mythology, New York, 1961, p.39.

[١٨٢] صمويل نوح كريمر: "أساطير سومر وآكاد" في كتاب أساطير العالم القديم، نشر وتقديم صمويل نوح كريمر، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٧٧.

أ- أسطورة (الماشية والغلة) أو (إله الشعير - أشنان - والنعجة):

تبدأ هذه الأسطورة التي تصف الإلهين المعنيين بالماشية والغلة اللذين أرسلا من السماء لتحل الرفاهية بين البشر على الأرض بمقدمة قصيرة تشير لجبل السماء والأرض قبل انفصالهما، وظهور الآلهة على هذا الجبل وذلك على النحو التالي: "على جبل السماء والأرض قد ولدت آلهة الأنوناكى العظام"[١٨٣]. والأنوناكى هو النطق الأكدى للاسم السومرى (أنونا) الذي استخدم للإشارة إلى جموع الآلهة في السماء والأرض، وقد أطلق الأكديون اسم (أناناكو) أو (أنوناكى) على آلهة العالم السفلى المقابل لـ(إجيجى) الذين يمثلوا آلهة السماء، وكان يبلغ عددهم ثلاثمائة في بعض النصوص وستمائة في نصوص أخرى[١٨٤].

ب- أسطورة (جلجامش وانكيدو والعالم السفلى):

بدأت هذه الأسطورة بمقدمة تتصل بأعمال الخلق الإلهية، وتقرر أن السماء والأرض كانتا في البدء كلا واحدا، تباعدتا عن بعضهما فيما بعد، فأختص الإله آن بحكم السماء، وإنليل بحكم الأرض، أما الإلهة إيرشكيجال فقد تلقت العالم السفلى هدية وذلك على النحو التالي: "في سالف الأيام، في الأيام الخوالي القديمة، في الليالي الخوالي، في الليالي الخوالي القديمة، في الأيام الخوالي، في الأيام الخوالي القديمة، بعد أن خلق في سالف الأيام كل ما هو ضروري من الأشياء، وبعد أن أمر في الأيام الخوالي بخلق كل ما هو مفيد من الأشياء، وبعد أن تذوق الخبز في مزارات البلاد، وبعد أن خبز الخبز في مخابز البلاد، وبعد أن فصلت السماء عن الأرض، وبعد أن فصلت الأرض عن السماء، وبعد أن ثبت اسم الإنسان، وبعد أن أخذ آن السماء، وبعد أن أخذ إنليل الأرض، وبعد أن حملت إيرشكيجال إلى العالم السفلى كجائزة له"[١٨٥].

---

[١٨٣] فوزي رشيد: "المعتقدات الدينية" في كتاب حضارة العراق، الجزء الأول، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥، ص ١٦٧.

= ترجم كريمر هذه المقدمة على النحو التالي: "على جبل السماء والأرض ولد الإله آن آلهة الأنوناكى (أتباعه)" Kramer, S.N., op.cit., p. 39. تشير تلك المقدمة إلى اعتقاد السومريين بأن الآلهة كانت تعيش فوق "جبل السماء والأرض وهو الموضع الذي كانت الشمس تشرق منه"، عندما لا يكون وجودها ضروريا في الظواهر الكونية المعنية التي كانت موكلة بها. صمويل نوح كريمر: السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة فيصل الوائلى، وكالة المطبوعات، الكويت، بدون تاريخ، ص ١٥٥.

[١٨٤] د.ادزارد: "قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين وسورية" في كتاب قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين (السومرية والبابلية) في الحضارة السورية (الأوغاريتية والفينيقية)، ترجمة محمد وحيد خياطة، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٨٧، ص ٧١.

[١٨٥] صموئيل نوح كريمر: السومريون، ص ٢٨٠-٢٨١؛

Kramer, S.N., op.cit., p.37; Vieyra, M., "Empires of the Ancient Near East: The Hymns of Creation" In Larousse World Mythology, (ed.) by Grimal, P., London, 1969, p.59.

جـ- أسطورة (انكى وننخورساج):

تبدأ هذه الأسطورة التي تدور حول خلق الإنسان بعد أن اشتدت حاجة الآلهة إلى الخبز، بمقدمة تشير لحالة الكون قبل خلق البشر وشكوى الإلهة وذلك على النحو التالي: "في تلك الأيام، عندما كان ما في الأعلى وما في الأسفل قد تم فصلهما. في تلك الليالي عندما كان الأعلى والأسفل قد تم تفريقهما، في تلك السنة، عندما كانت مصائر (الآلهة) قد قررت، عندما جيء بالأنونا إلى الوجود في العالم، والإلهات عندما تم الاقتران بهن (؟) وأخذت كل منهن نصيبها، من هن في الأعلى ومن هن في الأسفل وكان قد تم إخصابهن وكن قد أصبحن أمهات، وحين كان يتوجب على الآلهة الحصول على طعامهم، عمدوا إلى العمل جميعهم وآلهة المرتبة الثانية كلفوا بأعمال السخرة"[١٨٦].

د- أسطورة (خلق المعول):

تبدأ هذه الأسطورة التي تتحدث عن قيام الإله إنليل بخلق الإنسان والمعول بمقدمة عن نشوء الكون حيث يوصف الإله إنليل بمنظم الكون منذ البدء وفاصل السماء عن الأرض عندما كانتا كلا واحدا[١٨٧] وذلك على النحو التالي: "السيد الإله إنليل قد جعل كل ما هو نافع يبدو ناصعا، السيد الذي تقريره للمصير لا يمكن أن يتغير، قد أسرع لفصل السماء عن الأرض، قد أسرع لفصل الأرض عن السماء، وبعد ذلك عمل على أن يظهر الإنسان الأول"[١٨٨].

وهناك قصيدة أخرى في الخلق - نظمت أساسا لخلق الإنسان وحده - تتحدث عن قيام الإله إنليل بفصل السماء عن الأرض وتبدأ بالحديث بأنه بعد أن "فتقت السماوات عن الأرض وخلقت الأرض بعد أن تقرر "قدر" الكون و"أقيم" دجلة والفرات مع شطآنهما وقنواتهما وأعطيا اتجاههما الصحيح، عندئذ جلس الآلهة أجمعون في محرابهم المجيد، حيث يسأل إنليل ملك الآلهة عن الخطوة التالية فيحث الأنوناكى (آلهة

يوجد العالم السفلى وفقا لمعتقدات سكان بلاد الرافدين في الطبقة الأخيرة من الأرض، وأسفل المياه الجوفية العميقة، كما كان يحيط به سبعة أسوار ونهر يحيط بالسور الأول منه ويسمى (خوبور). وكان لا يسمح للموتى بعبور هذا النهر إلا بعد إنجاز الشعائر الجنائزية. وكان الوصول إلى العالم السفلى يتم من خلال عدة مداخل كحفرة القبر أومن خلال أية حفرة أخرى في الأرض أو من المدخل الرئيسي الموجود في مدينة الوركاء. فوزي رشيد: المرجع السابق، ص ١٧٩.

[١٨٦] قاسم الشواف: ديوان الأساطير، سومر وأكاد وأشور، الكتاب الأول، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٦، ص ٦٣-٦٤. دعيت الإلهة ننخورساج في هذه الأسطورة بلقبها (ننماخ) أي السيدة العظيمة. ثوركلد جاكوبسن: "أرض الرافدين: الكون كدولة" في كتاب ما قبل الفلسفة الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ومراجعة محمود الأمين، بغداد، ١٩٦٠، ص ١٩٠.

[١٨٧] صمويل نوح كريمر: أساطير سومر وأكاد، ص ٧٧؛ د. ادزارد: المرجع السابق، ص ٦٩، ١٢٨.

[١٨٨] فوزي رشيد: المرجع السابق، ص١٦٦.

Kramer, S.N., op.cit., pp.39-40, 51-52; Vieyra, M., op.cit., p.59.

العالم السفلى) إنليل بخلق الإنسان للقيام بأعمال الآلهة في كل زمن بحرث الحقول وريها وبناء المعابد والمحاريث لهم[١٨٩].

وبالإضافة إلى مقدمات تلك الأساطير تشير قائمة الآلهة السومرية وبعض الأساطير الأخرى أن الكون في نظر السومريين ظهر من اللجة الأزلية أو البحر الأول الذي انبثق عنه كل شيء والممثل في الإلهة (نمو) التي تعد أم كل الآلهة السومرية والآلهة الهيولية الأولى التي تشكل منها الكون والعالم والتي ولدت السماء والأرض[١٩٠]. ثم أنجبت الإلهة نمو ذاتيا بدون زوج أو تدخل أحد ولدا وبنتا؛ الأول (آن) إله السماء المذكر[١٩١] والثانية (كي) إلهة الأرض المؤنثة[١٩٢]، وكانا كل من (آن)

---

[١٨٩] صمويل نوح كريمر: أساطير سومر وأكاد، ص ١٠٠-١٠١.

[١٩٠] Kramer, S.N., op.cit., p.39.

[١٩١] جسد الإله آن (أنو أو آنوم في اللغة الأكدية) شخصية السماء التي اشتق اسمه منها. وقد احتل المنصب الأول في مجمع الآلهة السومرى، كما كان أعلى قوة في الكون وسيد كل الآلهة قبل أن تتحول تلك المكانة إلى ابنه الإله إنليل الذي أصبح الإله الوطني لكل بلاد سومر.
جورج رو: العراق القديم، ترجمة وتعليق حسين علوانى حسين، ومراجعة فاضل عبد الواحد على، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص ١٣٣.
ومن ثم فقد نسبت مقدمات بعض الأساطير خلق السماء إلى الإله آنو منها على سبيل المثال رقية كونية كانت تستعمل ضد ألم الأسنان الناجم عن دودة ماصة للدماء في اللثة ترجع إلى العصر البابلي الحديث ولكنها نسخت من نص قديم وذلك على النحو التالي "بعد أن خلق آنو السماء، خلقت السماء الأرض، وخلقت الأرض الأنهار، وخلقت الأنهار القنوات، وخلقت القنوات المستنقعات، وخلقت المستنقعات الدودة". صمويل نوح كريمر: أساطير سومر وأكاد،، ص ١٠١؛ فيصل الوائلى: "من أدب العراق القديم" مجلة سومر، المجلد التاسع عشر، بغداد، ١٩٦٣، ص ١٨-١٩؛
Speiser,E.A., "A Kkadian Myths and Epics" in ANET, pp.100-101.

[١٩٢] من المحتمل أن الإلهة (كي) هي نفسها الإلهة ننخورساج (ملكة الجبل الكوني) التي كانت تمثل دور الإلهة الأم التي انبثق عنها كل الكائنات وصاحبة العديد من الأسماء والألقاب مثل (ننماخ) أي الملكة العظيمة و(ننتو) أي الملكة الولود. Kramer,S.N.,op.cit.,p.41 ويرجح ثوركلد جاكوبسن سبب تغيير الاسم من كي إلى ننخورساج إلى فهم سكان بلاد الرافدين لقوة الأرض وقدراتها بحيث ظهرت أسماء أخرى مبنية على صفات بارزة أكثر أهمية، بحيث لم يعد من السهل على الاسم القديم لهذه الإلهة البقاء، من أهمها "الأرض الأم" المصدر العظيم الذي لا ينضب للحياة الجديدة والخصب في كل أنواعه. ثوركلد جاكوبسن: المرجع السابق، ص ١٦٩-١٧٠. وعلى الرغم من أنها كانت وفقا لنظرة السومريين في الخلق والنشوء زوجة للسماء إلا أنها أصبحت بعد زوجة للإله انكى إله الأرض والمياه الجوفية، كما يلاحظ اشتراك كل من ننخورساج وانكى في ألوهية الأرض مما يدل على أهميتها في حياة الإنسان من شتى النواحي بحيث لم يكن من السهل إدراجها وحصرها ضمن نطاق فكرة واحدة. نائل حنون: "شخصية الإلهة الأم ودور الإلهة "إنانا" عشتار في النصوص السومرية والأكدية"، في مجلة سومر، الجزء الأول والثاني- المجلد الرابع والثلاثون، ١٩٧٨، ص ٢٨.

و(كي) في حالة تلاصق أو اندماج أو اتحاد وغير منفصلين عن أمهما نمو[١٩٣]، ومن ثم فقد وصفوا في بعض النصوص السومرية بـ"التوأم"[١٩٤]، كما أطلق عليهما اسم الجبل الكوني (أن – كي)، وهى كلمة مركبة تعنى (السماء-الأرض)، الذي كان يسبح وسط مياه الإلهة الأولى (نمو). وكانت الأرض في اعتقاد السومريين عبارة عن قرص منبسط، أما السماء فكانت عبارة عن سطح صلب على شكل قبة يحيط قرص الأرض، وقد اعتقدوا أن تلك الكتلة السماوية كانت مكونة من مادة القصدير لأن معنى كلمة قصدير في اللغة السومرية (معدن السماء)[١٩٥].

ثم يتزوج (آن) إله السماء من أخته (كي) إلهة الأرض. وقد عبرت النصوص السومرية عن أمثال هذا الزواج بين السماء والأرض مرارا وأسهبت في وصف الأرض وقد تزينت كعاشقة تنتظر حبيبها، واكتست بأبهى حللها، استعدادا لاقترانها بإله السماء، كما هو الحال في مقدمة الأسطورة التي تتناول موضوع المنافسة بين الشجر والقصب وذلك على النحو التالي:-

"صحن الأرض الفسيح كان متألقا: ومخضرا سطحها، كانت الأرض الفسيحة ترتدي الفضة واللازورد. تبرجت بالديوريت والعقيق الأحمر والإثمد. وببهاء تزينت بالنباتات والأعشاب: كم كان جليلا مظهر الأرض لأن الأرض ذات الجلال، الأرض المقدسة جملت نفسها، لأجل العالم السماوي المهيب. وهو هذا الإله البديع، غرس في الأرض الفسيحة قضيبه وسكب دفعة واحدة في فرجها بذرة الأبطال، الشجر والقصب والأرض بكاملها، مثل بقرة وجدت نفسها مشبعة بمنى العالم السماوي الغنى"[١٩٦].

ويسفر زواج السماء والأرض عن ميلاد ابنهما (إنليل) إله الهواء الذي يعيش وسطهما مقيدا سجينا بسبب التصاقهما، ومن ثم يستخدم قوته الجبارة بصفته إلهاً للهواء والعاصفة في فصلهما فيحمل أبوه (آن) السماء إلى العلا، ويبسط أمه الإلهة (كى) الأرض. ثم يقوم (آن) بإخصاب (كي) من جديد عن طريق المطر مما ينتج عنه ولادة الإله إنكى إله الماء الذي سيملأ الأرض ويصبح أيضا إلها للأرض مع الإلهة (كى). وبولادة هؤلاء الآلهة الأربعة يكون الكون بمعناه البدائي قد اكتمل حيث ظهر كل من (أن وكى وإنليل وإنكى) وأصبح كل منهم إلها لواحد من أوجه الطبيعة الأربعة (السماء

---

[١٩٣] فراس السواح: مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة- سوريا وبلاد الرافدين، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٦،، ص ٣٢.

[١٩٤] Vieyra, M., op.cit., pp.58-59.

[١٩٥] صمويل نوح كريمر: السومريون، ص ١٤٩.
واستكمالا لاعتقاد السومريين في شكل الكون فقد كانت السماء عندهم تنقسم إلى السماء والفضاء الموجود فوقها حيث تسكن إلهة السماء، وتنقسم الأرض إلى سطح الأرض والفضاء الموجود تحتها حيث تعيش آلهة العالم الأسفل والهيولى. Kramer, S.N., op.cit., p. 41.

[١٩٦] قاسم الشواف: ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور، الكتاب الثاني، الآلهة والبشر، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٧، ص ٣٨-٣٩.

والأرض والهواء والماء)، وهى العناصر الأساسية الأربعة للكون كله[١٩٧]. ثم ينصرف إنليل بعد ذلك إلى خلق القمر والشمس والكواكب والنجوم وبذلك تتهيأ الشروط اللازمة للحياة فظهرت إلى الوجود النباتات والحيوانات وتم خلق الإنسان[١٩٨].

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى عدة نقاط تتصل بهذه الأساطير وذلك فيما يتعلق بفصل السماء عن الأرض منها:-

(أولا) غلبة صفة التشبيه وأنسنة الآلهة على معتقدات السومريين ومن ثم فقد كانت الآلهة تتصرف كالبشر؛ ترضى وتغضب تحب وتكره تتزاوج وتنجب وتخطط وتعمل وتأكل وتشرب وتتزاوج وتصاب بالانفعالات والضعف وكان من الممكن أن تصاب بالمرض إلى حد الأشراف على الموت، كما كانت تحارب وتجرح وتقتل، كما كانت على ما يفترض تجرح وتقتل نفسها[١٩٩]. ولعل الفرق الوحيد بينها وبين البشر في نظر القدماء من سكان وادي الرافدين أن الآلهة كانت خالدة لا تموت[٢٠٠].

(ثانيا) أظهرت تلك الملاحم والأساطير السومرية ومن بعدها البابلية أن سكان بلاد الرافدين لم يتساءلوا عن نوعية القوة التي قامت بخلق الآلهة الرئيسية، بل اعتبروا وجودها من الأمور الأزلية التي لا تحتاج إلى نقاش، وأن هذه الآلهة هي التي قامت بخلق الكون والإنسان. وربما يرجع ذلك إلى إحساس سكان وادي الرافدين بتأثير هذه العوامل على حياتهم وعلى محاصيلهم الزراعية، ولكنهم كانوا يجهلوا كيف تكونت في البدء ومن ثم فقد حولوها إلى آلهة واعتبروها أزلية أيضا[٢٠١].

(ثالثا) ارتباط نشأة الكون بالإلهة الأم نمو، أي بالذكر دون الأنثى، واعتبارها الأصل في الكون، أو المظهر الأول فيه، وأن المظاهر الكونية الأخرى ليست سوى تفريعات عنه، مما يشير إلى سيادة الاعتقاد بالوهية الأم وتفريدها وتمييزها، ووضعها في مقدمة الآلهة الرئيسية الخالقة، وربما يرجع سبب هذا التميز إلى دور الإلهة الأم في الخلق والتكوين وتسيير شئون الحياة المختلفة وامتلاكها فعالية الخلق والقدرة على الإبداع ومنح الحياة والإنجاب وحفظ استمرارية الحياة[٢٠٢].

(رابعا) أن الجبل الكوني الذي يشكل السماء والأرض متحدين لم يكن أزليا، بل مخلوقا، جاء نتيجة إخصاب ذاتي للأم الأولى التي ولدته من رحمها بدون زوج. وهو ما يعنى أن الخلق هنا قد أتى نتيجة الحركة المادية والفعالية الحياتية للآلهة، لا نتيجة

---

١٩٧ خزعل الماجدى: الدين السومرى، دار الشروق، عمان، ١٩٩٨، ص ١١٢.
١٩٨ فاضل عبد الواحد على: من سومر إلى التوراة، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١٩٤-١٩٥.
١٩٩ صموئيل نوح كريمر: السومريون، ص ١٥٥- ١٥٦.
٢٠٠ فاضل عبد الواحد على: "أناشيد الزواج المقدس لتموز ونشيد الإنشاد لسليمان"، ص ١٧.
٢٠١ فوزي رشيد: المرجع السابق، ص ١٤٩.
٢٠٢ نائل حنون: المرجع السابق، ص ٢٣.

الكلمة الخالقة والأمر الإلهي، وهو الأمر الذي ينطبق أيضا على كل من الشمس والقمر وكذلك بعض الآلهة الأخرى التي جاءت للوجود نتيجة للفعالية الجنسية[٢٠٣].

(خامسا) من المحتمل أن موقع الجبل الكوني (آن-كي) الذي ظهر من إلهة الهيولى المائية نمو - مركز الكون كله والذي ظهرت عليه الآلهة وبنت مقرها عليه - كان يقع في بلاد سومر دون غيرها، أى في المنطقة الممتدة من حدود مدينة نفر شمالا إلى أقصى الأراضي الجنوبية من بلاد الرافدين، وذلك بناء على الاعتقاد السائد بين السومريين الذين كانوا يرون أن بلادهم تمثل مركز العالم، وهو الاعتقاد الذي ساد لدى أصحاب معظم الحضارات القديمة، الذين كانوا يعتبرون بلادهم مركز العالم[٢٠٤]، ولما كان مركز بلاد سومر نفسها هو مدينة نفر (نيبور) مركز عبادة الإله إنليل الذي قام بفصل السماء عن الأرض، فإن هذه المدينة كانت تمثل في نظر السومريين سرة العالم ومستقر الجبل الكوني وهو الأمر الذي أدى إلى إطلاق اسم (عماد السماء والأرض) عليها وعلى معبدها المعروف باسم (أيكور) أي بيت الجبل، لذلك كانت تتلاقى السماء والأرض على قمة هذا الجبل[٢٠٥]. مما يبرهن على قوة نفوذ كهنة إنليل ودورهم في صياغة مثل هذه المفاهيم والمعتقدات عن نشأة الكون وخلق العالم.

---

٢٠٣ كارم محمود عزيز: أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، دار الحصاد للنشر والتوزيع والطباعة، دمشق، ١٩٩٩،، ص ٥٠-٥١.

على سبيل المثال طريقة ميلاد القمر كما وردت في "أسطورة إنليل وننليل ولادة اله القمر" Kramer, S.N.,op.cit.,p.43-47. وذلك على الرغم من معرفة سكان بلاد الرافدين بمبدأ "كن فيكون" أي بمجرد استخدام لفظة كن وهو الأمر الذي بدا واضحا على سبيل المثال في حديث الآلهة لمردوخ في اللوح الرابع من أسطورة الخليقة البابلية وذلك على النحو التالي: "تكلم ولتغب كوكبة النجوم، كلمها = مجددا ودع كوكبة النجوم تظهر من جديد. تكلم فغابت على الأثر كوكبة النجوم. كلمها ثانية فأعيد خلقها من جديد وعندما رأى آباؤه الآلهة فعالية كلامه، ابتهجوا وقالوا معلنين مردوخ هو الملك". ستيفاني دالي: أساطير من بلاد ما بين النهرين الخليقة، الطوفان، كلكامش، وغيرها، ترجمة نجوى نصر، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، ١٩٩٧، ص ٢٩٧-٢٩٨. وليس هناك من شك أن عدم استخدام مبدأ "كن فيكون" في خلق السماء والأرض أو فيما سواهم إنما يعنى أن تلك الآلهة لم تكن تملك الطلاقة الكافية لخلق الأشياء حسب أمرها. أنظر فاضل عبد الواحد على: من سومر إلى التوراة، ص ٨٧-٨٨. ومن المحتمل أن استخدام هذا المبدأ قد نتج عن الاستدلال القياسي الذي يعتمد على ملاحظة المجتمع الإلهي. كارم محمود عزيز: المرجع السابق، ص٥١.

٢٠٤ Allen, J.P., The Egyptian Concept of the World, p.23.

٢٠٥ كما يوجد في هذه المدينة أيضا مكان آخر يعرف باسم (أوزموا) كان يطلق عليه رباط الأرض والسماء، وتذكر الأساطير أنه كان (سرة الأرض) لأنه آخر منطقة انفصلت منها السماء عن الأرض بفعل حركة الإله إنليل. خزعل الماجدى: المرجع السابق، ص ٤٩-٥٠. من المحتمل أيضا أن بناء المعابد في بلاد الرافدين وتمثيلها بالجبال الكونية وتسميتها (صلة بين الأرض والسماء) يعنى استعادة خلق المكان الأول. وربما كان بناء الزقورات أيضا يمثل إحياء لهذا الجبل الكوني (آن- كى) حيث كان السومريون ينظرون إليها على أنها مركز العالم. كما يبدو أن إطلاق مصطلح (دور- آن- كى)

(سادسا) كان فصل السماء عن الأرض بمثابة العمل الأول في سلسلة الأعمال التي أعطت الكون شكله الحالي ونقطة البدء لدورة الحياة، إذ بفصلهما استقرت السماء في علاها والأرض في مستقرها، وانتظمت أجرام السماء وحددت مسارها، وترتبت دورة النهار والليل وحركة الفصول، وأخرجت الأرض زرعها وشجرها وتفجرت ينابيعها، وظهرت الحيوانات بأنواعها وامتلأت البحار بأسماكها، وأخيرا صار المسرح مهيئاً لظهور الإنسان[٢٠٦].

(سابعا) نسبت أغلب الأساطير فصل السماء عن الأرض إلى الإله إنليل الذي يعنى اسمه في السومرية الهواء والريح، وهو أحد الآلهة الرئيسية في مجمع الآلهة السومرى وصاحب العديد من الألقاب مثل "سيد كل البلاد" و"أب الآلهة" و"سيد القدر والمصائر" و"صاحب الكلمة النافذة التي لا رد لها" و"سيد اجتماع الآلهة" و"صاحب ألواح القدر"[٢٠٧] و"ملك السماوات والأرض وتلك الأرض كلها"[٢٠٨] و"الأسمى في السماء والأرض"[٢٠٩] و" إنليل سيد السماء والأرض"[٢١٠] و"القوة السماوية التي فصلت الأرض عن السماء" أي القوة التي خلقت العالم[٢١١]. ومن المحتمل أن قدرة الهواء على جلب العواصف الترابية الكبيرة والأعاصير أو الغيوم الكثيفة التي تشبه الجبال العالية في أشكالها وخاصة في بلاد الرافدين والتي تتميز بشدتها هو الذي أدى إلى نسبة فصل السماء عن الأرض إلى الإله إنليل، وخاصة أن العاصفة هي سيدة كل ما تحت الأرض من فضاء[٢١٢].

ومن ثم فقد أخذ إنليل دور تنظيم الكون وإعطاءه شكله المعروف وذلك بعد إخراجه من لجة العماء والظلام إلى النور والنظام، وبالتالي سريان صلاحيته لنشأة الحياة على الأرض، مما كان له أثره في إعطاءه أهمية كبرى في مجمع الآلهة، وهو الأمر الذي يبدو من خلال ترنيمة موجهة إلى إنليل جاء فيها:-

"بدون إنليل الجبل العظيم لا المدائن شيدت ولا المقار أسست، لا الاصطبلات شيدت ولا حظائر الغنم أقيمت، ولا الأنهار مياها العالية جلبت الفيض ولا البحر

الذي كان يشير إلى زقورات بعض المدن مثل نفر (نيبور جنوب شرق بابل) ولارسا (تل سنكرة على بعد ثلاثين كيلومترا شمال غرب الناصرية) وأور (تل المقير على بعد خمسة عشر كيلومترا جنوب الناصرية) وغيرها كان يمثل هذا الاعتقاد وخاصة أن المعابد كانت تبنى عادة قرب أو فوق المياه تمثلا للحظة الخليقة الأولى واستعادة لها. خزعل الماجدى: المرجع السابق، ص ١١-١١٢.

٢٠٦ فراس السواح: المرجع السابق، ص ٤٥.

٢٠٧ د. ادزارد: المرجع السابق، ص ٦٨-٧٠؛ فوزي رشيد: المرجع السابق، ص ١٥٢-١٥٤.

٢٠٨ صموئيل نوح كريمر: أساطير سومر وآكاد، ص ٧٧.

٢٠٩ Kramer,S.N., op.cit., p.573.

٢١٠ فوزي رشيد: المرجع السابق، ص ١٦٢.

٢١١ جورج رو: المرجع السابق، ص ١٣٣.

٢١٢ فوزي رشيد: المرجع السابق، ص ١٥٤.

أعطانا مختارا كنوزه الوفيرة، ولا سمك البحر وضع بيضه في الأحواض ولا طيور السماء نشرت أعشاشها على الأرض الرحيبة، لا الغيوم المحملة بالغيث في السماء فتحت أفواها ولا الحقول والمروج امتلأت بالحب الكثير، ولا الأعشاب والحشائش في السهول نبتت ولا أشجار الجبل الكبيرة في البستان حملت ثمارها، ولا البقرة وضعت عجلها في الاصطبل ولا الغنمة ولدت حملها في الحظيرة، ولا الجموع الغفيرة من بنى البشر نامت أمنة.. ولا البهيمة من ذوات الأربع ولدت صغارها ولا رغبت في التناسل"[٢١٣]. وفى ترنيمة أخرى يشار إلى عظمة إنليل وقوته وفيما يلي ما جاء فيها: "تقارب السماء – فيكون الفيض، من السماء ينزل الفيض إلى الأرض، تلامس الأرض – فتكون الوفرة، من الأرض تصدر براعم الخصب، حكمتك هي الزرع، كلمتك هي الحبوب، كلمتك – هي الماء الغامر، حياة جميع البلاد"[٢١٤].

٢- مفهوم فصل السماء عن الأرض عند البابليين.

تظهر أفكار البابليين عن نشأة الكون وخلق العالم في عدد من الأساطير لعل من أهمها أسطورة الخليقة البابلية المسماة بملحمة (إينوما إيليش) أي (عندما في الأعالى) وذلك نسبة للكلمات الأولى منها[٢١٥]. وتصور هذه الأسطورة خلق السماء والأرض بطريقتين منفصلتين، تختلف كل طريقة عن الأخرى، وذلك بسبب المواد الأسطورية التي تجمعها، والتحوير الذي طرأ عليها نتيجة تغيير بطلها من إنليل إلى مردوخ ثم إلى أشور. وتبدأ الأسطورة بوصف مادة الكون قبل الخلق، حيث تذكر أنه في البدء لم يكن هناك شيء يذكر سوى العماء، وهو ظلام حالك مضطرب وفراغ ليس له حدود، مكون من عنصرين إلهيين؛ أولهما مذكر يعرف باسم (أبسو) ويمثل المياه العذبة، وثانيهما مؤنث وهى المياه المالحة المعروفة باسم (تيامة)[٢١٦]، وكانت هذه الكتلة المائية الأولى تملأ الكون، في حالة سرمدية من السكون والصمت المطلق، تمتزج ببعضها البعض في حالة هيولية ليس لها شكل محدد[٢١٧]، وهو الوضع الذي عبر عنه اللوح الأول من قصة الخليقة على النحو التالي:

---

[٢١٣] أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء السادس، حضارة العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠١، ص ٣٣٧.

[٢١٤] نفس المرجع السابق، ص ٣٣٨.

215 Speiser,E.A., "The Creation Epic" in ANET, pp.60-72.

ستيفانى دالي: المرجع السابق، ص ٢٧٥-٣٢٦.

اصطلح العلماء على تسمية هذه الأسطورة بأسماء عديدة مثل "قصة الخليقة" و"ملحمة الخليقة" و"ألواح الخليقة السبعة" لأنها مدونة على سبع رقم من الطين، وهى ترجع إلى العصر البابلي القديم. فاضل عبد الواحد على:سومر أسطورة وملحمة، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٩،ص ١٢٨.

[٢١٦] فاضل عبد الواحد على: "الأدب" في كتاب حضارة العراق، الجزء الأول، دار الحرية للطباعة، بغداد، ص٣٢٦.

[٢١٧] فراس السواح: المرجع السابق، ص ٥٢.

"حين السماوات في الأعالي لم تكن قد دعيت بعد، ولا كان للأرض في الأسافل اسم يطلق عليها. أبسو، الواحد الأول، ومنجبتهم وصانعتهم تيامة، التي ولدتهم جميعا، ومزجت مياههم معا، لكنها لم تشكل المروج، ولا اكتشفت غياض القصب؛ وحين لم يكن حتي للآلهة التجلي بعد، ولا أسماء أعلنت، ولا أقدار رسمت، عندما ولد الآلهة في داخلهم"[٢١٨].

ثم تذكر بعد ذلك أنه نتيجة لامتزاج هذه المياه مع بعضها البعض، ظهرت أجيال الآلهة. وهنا تظهر أطراف الرواية الأولى الخاصة بخلق السماء والأرض؛ فلقد ولد للزوجين أبسو وتيامة الإلهان (لخمو) و(لخامو)، اللذين يبدو أنهما يمثلان الطمي الذي يتراكم في مجارى المياه، ثم ولد لهما (انشار) و(كيشار)، وهما وجهان من أوجه "الأفق". وبذلك تصور القصة أن المياه العذبة والمالحة قد وضعا في فوضى المياه الأولى طمي الزمان الأول، الذي ما لبث هو الآخر أن استقر وتراكم في حلقة فسيحة هائلة وهى الأفق، الذي ظهر بدوره كذكر وأنثى معا؛ كدائرة (ذكر) تحيط بالسماء، ودائرة (أنثى) تحيط بالأرض.

ومن (أنشار) و(كيشار) اللذان يمثلان سطح وأسفل الحلقة، نشأ بتراكم الزمن (آنو) الذي يمثل السماء ثم ولد آنو (نوديموت) وهو اسم آخر لـ (آيا أو انكى) الذي يمثل الأرض نفسها في هذا السياق، فهو (أن-كى) بمعنى سيد الأرض. وبالتالي فقد نشأ من الأفق (انشار) و(كيشار) السماء والأرض، وكانا عبارة عن قرصين عظيمين وضعهما الطمي في الهيولى المائية، ثم فصلت بينهما الريح، بحيث أصبح الكون أشبه بكيس منفوخ يحيط به الماء من فوق ومن تحت. ويبدو أن (انشار) قد صنع آنو على صورته، لأن السماء تشبه الأفق من حيث استدارتها، كما يبدو أيضا أن آنو صنع (نوديموت) أي الأرض على صورته، لأن الأرض كانت في نظر البابليين على هيئة قرص، بل على هيئة إناء مستدير[٢١٩].

وقد عبر اللوح الأول من أسطورة الخليقة عن ظهور تلك الأجيال من الآلهة على الوضع التالي: "انبثق لخمو ولخامو، وأعلنت أسماؤهم. وما إن نضجوا، واكتمل تكوينهم، حتى ولد أنشار وكيشار وتفوقا عليهم. أمضيا الأيام حتى تمامها، وأضافا على

---

[٢١٨] ستيفاني دالي: المرجع السابق، ص ٢٨١؛
ظهر في بعض ترجمات هذه الأسطورة أن عناصر الهيولية الأولى كانت تتكون من أبسو وتيامة وممو، ويرى البعض أن الأخير ربما كان لقبا بمعنى الأم Speiser,E.A.,op.cit.,p.60-61,n.2. أو السحب والضباب، ثوركلد جاكوبسن: المرجع السابق، ص ٢٠٠-٢٠١. أو الضباب المنتشر فوق سطح المياه والناشيء عنه، فراس السواح: المرجع السابق، ص ٥٢. أو القوى الخالقة للحياة وفى بعض الأحيان وزير لابسو، رشيد الناضورى: المدخل في دراسة بعض جوانب العطاء الفكري لإنسان الشرق الأدنى القديم، دار الرشاد للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ، ص١١٨.

[٢١٩] ثوركلد جاكوبسن: المرجع السابق، ص ٢٠١-٢٠٣، ٢١٣.

السنين سنينا. آنو أول مواليدهما، نافس أجداده: فقد خلق أنشار ابنه آنو شبيها له، كما أنجب آنو نوديمد على شاكلته"[٢٢٠].

وهكذا يبدو واضحا من خلال الرواية الأولى لخلق السماء والأرض أن عناصر الكون من ماء وطمي وأفق وسماء وأرض وهواء وماء، ممثلو أبسو وتيامة ولخمو ولخامو وانشار وكيشار وأخيرا الآلهة الثلاثة الذين يقفون على قمة مجمع الآلهة البابلي وهم آنو إله السماء وانليل إله الهواء وآيا إله الأرض والمياه والهاوية التي تحيط بالعالم كانت موجودة بالفعل قبل الصراع الدامي الذي نشب بين مردوخ وتيامة وأدى في النهاية إلى تكوين السماء والأرض وفقا للرواية الثانية.

ثم تبدأ الأسطورة في سرد مقدمات الرواية الثانية التي أدت إلى خلق السماء والأرض وأجرام السماء ثم سائر المخلوقات، حيث تذكر أنه مع تزايد عدد أحفاد أبسو وتيامة زاد صخبهم وضجيجهم، الأمر الذي أغضب أبسو وتيامة، وأوغر صدر أبسو على وجه التحديد، حيث بدأ يكن لهم العداء والكراهية. ويبدو أن السبب وراء كراهية أبسو وتيامة لكل من آنو وإنليل وآيا وذريتهم هو أن أولئك الآلهة الأخر كانوا يملكون النظام الذى يعاكس الفوضى الذي يمثله كل من أبسو وزوجته[٢٢١] أو أن الآلهة الحديثة أرادوا أن ينظموا ويديروا الكون وفق أهوائهم[٢٢٢]. ومن ثم فقد عقد أبسو العزم على إبادتهم فتقدم الآلهة على قتله، مما أثار حفيظة زوجته تيامة التى راحت تعد العدة للانتقام من قتلة زوجها، فخلقت عدة أنواع من الشياطين والأفاعي وسلحتهم بأسلحة فتاكة، ووضعتهم تحت قيادة أحد الآلهة القديمة وجعلته زوجها وهو (كنكو). وفي المقابل وقع اختيار الآلهة الحديثة على مردوخ إله مدينة بابل ليقود المعركة ضد تيامة وجيوشها الرهيبة[٢٢٣].

---

[٢٢٠] ستيفانى دالي: المرجع السابق، ص ٢٨١.

= يفترض ثوركلد جاكوبسن وجود تحوير في هذه الفقرة إذ كان يتلو كل من لخمو ولخامو ثم أنشار وكيشار في الأسطورة الأصلية (آن) و(كي) أي السماء والأرض غير أن كاتب الأسطورة ذكر هنا اسم أنو أولا ثم تبعه نوديمد، ويرجع ثوركلد جاكوبسن سبب هذا التحوير إلى رغبة كاتبها في تأكيد ذكورة الأرض (آيا – انكي) لأنه كان يمثل دور أبو الإله مردوخ في اللاهوت البابلي وفي هذه الأسطورة. ثوركلد جاكوبسن: المرجع السابق، ص ٢٠٣.

[٢٢١] جورج كونتينو: الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتى وبرهان عبد التكريتى، بغداد، ١٩٨٦ ص ٣٢٣-٣٢٤.

[٢٢٢] فاضل عبد الواحد على: الأدب، ص٣٢٦.

[٢٢٣] يعنى اسم مردوخ في اللغة السومرية "عجل إله الشمس" أما اسمه في اللغة البابلية فهو "مار-دوكو" أي ابن الإله دوكو وهو التل المقدس، ومردوخ هو ابن الإله انكي وإن كان معنى اسمه يشير إلى علاقته بالإله شمش أكثر من علاقته بالإله انكي. فوزي رشيد: المرجع السابق، ص ١٦١-١٦٣.

Speiser,E.A.,op.cit., p.61.

وعندما تقابل الفريقان ودارت رحى المعركة نجح مردوخ في القضاء على تيامة وذلك على النحو التالي كما ورد في اللوح الرابع: "عندما سمعت تيامة هذا الكلام، استشاطت غضبا، وفقدت صبرها. وأطلقت تيامة صيحة عالية بانفعال شديد، وارتعدت أجزاؤها السفلى من الأعماق. فتلت التعويذة وراحت تلقى بلعنتها. أثناءها كان آلهة الحرب يشحذون أسلحتهم. واقتربا وجها لوجه، تيامة ومردوخ حكيم الآلهة. واشتبكا في ساحة المعركة. بسط السيد شباكه وطوقها بها، وأطلق الريح التي كانت وراءه في وجهها: فتحت تيامة فمها لتبتلعها، فدفع بريح (آخر) بقوة فلم تتمكن حتى من إغلاق شفتيها. وانتفخت أحشاؤها بفعل الرياح العاتية؛ وانقبضت أمعاؤها ففغرت فاها واسعا، فأطلق سهما اخترق بطنها، وشطرها في الوسط وشق قلبها، قهرها وأطفأ حياتها رمى جثتها أرضا ووقف فوقها"[٢٢٤] (شكل ١٧-١٨).

ثم تذكر الأسطورة في نفس اللوح أن مردوخ بعد أن تمكن من تيامة شطر جسمها إلى شطرين خلق منهما الأرض والسماء وذلك على النحو التالي: "استراح السيد وراح يتفحص جثتها. قطع الشكل الوحشي وخلق (منه) العجائب. قطعها إلى نصفين كسمكة للتقديد: رفع نصفا منها إلى الأعالي ليسقف السماء، رسم مزلاجا عارضا ووضع له حارسا يحمله، ورتب مياهها بشكل لا تقوى منه على الهرب، قطع السماوات بحثا عن مزار؛ مهد أرض الأبسو، مسكن نوديمد. قاس السيد أبعاد الأبسو والمعبد الفسيح الذي بناه على شاكلته كان (إي-شارا): وفي المزار العظيم (إي-شارا) الذي خلقه ليكون السماء أسس مراكز عبادة لآنو وإنليل وايا"[٢٢٥].

وهكذا استغل مردوخ جسد تيامة في خلق السماء ورفعها إلى العلا وخلق الأرض وبسطها، ولكي يتأكد من أن المياه التي فيها لن تتسرب منها، أقام السدود ووضع الحرس، وقاس السماء التي صنعها، وكما بنى (آيا) بعد قهره أبسو مسكنه على جثة غريمه، بنى مردوخ مسكنه على شطر تيامة الذي صنع منه السماء، وبقياساته تماما يستوثق من أن مسكنه يقابل مسكن آيا بالضبط ويناظره[٢٢٦].

عن تفاصيل الصرع بين مردوخ وتيامة وفقا لما ورد في اللوح الأول والثاني والثالث والرابع من أسطورة الخليقة البابلية أنظر ستيفاني دالي: المرجع السابق، ص ٢٨١-٣٠٣. وكذلك Speiser,E.A.,op.cit., p.60-67.

[٢٢٤] ستيفاني دالي: المرجع السابق، ص ٣٠٠-٣٠١.

[٢٢٥] نفس المرجع السابق، ص ٣٠٢.

[٢٢٦] كان يوجد خلف السماء المرئية للبشر وخلف المحيط السماوي الذي تدعمه قبة السماء مملكة خفية تتجاوز كل حدود الروعة والجمال تمثل "الجزء العميق من السماء" حيث تسكن الآلهة العظام فيها من حين إلى آخر بعيدا عن البشر، وفي نفس الوقت كان العدد الأكبر من الآلهة تسكن على الأرض، كل في مدينته الخاصة ومقصورته، غير أنها تستطيع في أي لحظة إذا شاءت مغادرة الأرض والصعود إلى السماء.

King, L.W., Babylonian Religion and Mythology, London, 1903, p.33-34.

ومن ثم يبدو واضحا من خلال أحداث أسطورة الخليقة البابلية وجود روايتان تتحدثان عن خلق السماء والأرض، فبينما تذهب الرواية الأولى إلى أن السماء والأرض كانتا قرصين عظيمين وضعهما الطمى فى الهيولى المائية وفصلت بينهما الريح، تظهر الصورة الثانية الإلهة تيامة التي تمثل الماء المالح وقد نفختها الرياح وقضت عليها، فيترك نصفها فى الأسفل، ويكون نصفها الآخر السماء[٢٢٧]. وتذكر ايلينا كاسان أنه ربما تركز فعل مردوخ في صياغة المادة الأولية للكون وتنظيم العالم منها، إذ يتضح مما ورد فى اللوح الأول والرابع أن المواد الأولية المكونة للأرض كانت معدة من قبل الإله آنو إله السماء الذي خلق التراب والرياح الأربع التي تثيره وتسبب حركته، ومن ثم فقد استقرت موجات الأتربة على المحيطات المائية وظهرت بنفس الوقت المستنقعات وفوق مادة الأرض الطافية بشكل غير مستو استفاد مردوخ من القسم الثانى من جثة تيامة ليكمل به الشكل الثانى لصورة الأرض، التي بدت بشكل سد مانع لحصر سيول المياه الغزيرة[٢٢٨].

وعلى أية حال يبدو واضحا أنه على الرغم من تناول قصة الخليقة البابلية لخلق السماء والأرض ثم فصلهما بطريقتين مختلفتين، فإنهما في النهاية يعبران عن تكوين أرض بلاد الرافدين، مما يؤكد أن السكان قد أسقطوا معرفتهم بطبيعة أرضهم على أصل الكون وتكوينه؛ إذ يظهر من وراء الرواية الأولى ذلك الخضم الهائل من المياه الذي يتمثل في نهرى دجلة والفرات والتقائهما بمياه الخليج العربي، مما يتسبب في خلق فوضى مائية لا نهائية وخاصة في أوقات الفيضان، فتخيل الإنسان آنذاك أن الكون كان يتكون من لجة مائية لا حدود لها، عبر عنها بأبسو الذي كان يمثل الماء العذب وتيامة التي تمثل الماء المالح. ولما كان من أهم مميزات تلك الأنهار قيامهم بنقل مقادير هائلة من الطمي عند التقاء الماء العذب بالماء المالح، مما يؤدى إلى تكوين الأراضي الخصبة، فقد تخيل الإنسان الطمي ممثلا بأول الآلهة لخمو ولخامو وهو ينفصل عن الماء ويظهر للعين ويتراكم ويكون الأراضي. ومن فوق ذلك كله رأى الإنسان السحب المنخفضة المعلقة في الأفق تظلل المياه، ومن ثم فقد رأى أن السماء تكونت على النحو نفسه ثم رفعت إلى مكانها العلى[٢٢٩].

كما يمكن القول أيضا وفقا للرواية الثانية لخلق السماء والأرض أن المعركة بين مردوخ وتيامة، أي بين الريح والماء، كانت رمزا قديما إلى الفيضان؛ ففي كل ربيع تطغى المياه على سهول بلاد الرافدين، ومن ثم تعود الدنيا إلى فوضى الزمان

---

[٢٢٧] ثوركلد جاكوبسن: المرجع السابق، ص ٢١٣.

[٢٢٨] ايلينا كاسان: "مفهوم الزمان والمكان في وادي الرافدين القديم" ترجمة وليد الجادر، في مجلة سومر، الجزء الأول والثاني، المجلد الحادي والثلاثون، ١٩٧٥، ص ٣٣٣-٣٣٤.

[٢٢٩] ثوركلد جاكوبسن: المرجع السابق، ص ٢١٣.

الأول المائية، إلى أن تصارع الرياح المياه وتجففها وتستعيد الأرض اليابسة[٢٣٠]. وهو ما يعنى أن سكان بلاد الرافدين قد نظروا إلى الفيضانات السنوية على أنها تجسيد لطغيان المياه الأزلية الأولى وما كلف الآلهة من صراع عنيف لكبح جماحها[٢٣١]. وعلى أية حال فقد انتهي الصراع الدامي بين مردوخ وتيامة وأسر مردوخ من كان مع تيامة من الآلهة وعلى رأسهم كبير قوادها وزوجها كنكو. ثم بعد ذلك تم خلق الكواكب والأجرام والمياه والأشجار والنباتات. ثم قرر مردوخ خلق الإنسان ليقوم بخدمة الآلهة وتقديم القرابين لها لتشعر بالراحة التامة[٢٣٢].

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى عدة نقاط تتصل بقصة الخليقة البابلية وذلك فيما يتعلق بخلق السماء والأرض وفصلهما:

(أولاً) سيادة الاعتقاد بأن المياه كانت أصل الوجود وأنها كانت تحيط بالعالم من جميع جوانبه، بحيث يبدو الكون كفقاعة كبيرة في محيط مائي لا حدود له، كما هو الحال في الأساطير السومرية. ومن المحتمل أن موقع بلاد الرافدين وما يحيط به من مسطحات مائية شاسعة سواء كانت مياه الخليج العربي وما وراءه من مياه البحر العربي والمحيط الهندي جنوبي شرقي البلاد، أو البحر الأحمر والبحر المتوسط جنوبي غربي وغربي البلاد، فضلاً عن نهرى دجلة والفرات اللذان يستمدان معينهما من المياه المتدفقة من الينابيع الصافية في الأطراف ويجريان من الشمال إلى الجنوب ويصبوا بعد أن يلتقيان قرب نهاية السهل في الخليج العربي قد أوحوا لسكان بلاد الرافدين بأن المحيط المائي يحيط بالعالم من جميع الجهات[٢٣٣].

---

٢٣٠ نفس المرجع السابق، ص ٢١٣.

٢٣١ ربما يرجع سبب اعتقاد الإنسان في بلاد الرافدين بقوى الشر والشياطين الذي يولد هذا الصراع عامة عدم ثبات بيئته وتغيرات محيطه، كالفيضانات المدمرة والحرارة الشديدة صيفا والرياح الرملية وملوحة وتوحل طرقه نتيجة المطر شتاء. سامي سعيد الأحمد: المرجع السابق، ص ٦٣.
أنظر أيضا: "البيئة الطبيعية والإنسان" في مجلد حضارة العراق، الجزء الأول، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥، ص ٥٤-٥٥.

٢٣٢ فاضل عبد الواحد على: "الأدب"، ص ٣٢٦-٣٣٠.

233 King, L.W., op.cit., p.30.
ليس هناك من شك أن معرفة سكان بلاد الرافدين القدامى بكل هذه المسطحات المائية الشاسعة يرجع إلى علاقاتهم التجارية والسياسية عبر عصورهم الطويلة والتي غطت مناطق وبلدان كثيرة من أواسط آسيا الصغرى شمالا إلى الخليج العربي والجزيرة العربية جنوبا، ومن موهنجودارو في وادي السند وبلاد فارس في الشرق إلى بلاد الشام وسواحل البحر المتوسط وبعض جزره فضلا عن مصر وليبيا وغيرهم. وكثيرا ما تناولت النصوص المسمارية طرق المواصلات البرية والمائية وذكرت تسميات البحار والأنهار والمدن والقرى الواقعة على تلك الطرف.
فاروق ناصر الراوي: "الجغرافية"، في مجلد حضارة العراق، الجزء الثاني، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٧٩.

(ثانياً) تكونت السماء والأرض من جسد الإلهة الأم تيامة التي كانت تمثل المياه المالحة وحدها دون غيرها من الآلهة الأخرى، حتى من غير أبسو نفسه زوجها، تماما كما تكونت السماء والأرض من الإلهة الأم نمو في المعتقدات السومرية وحدها دون ذكر، مما يعنى ارتباط خلقهما بالنسبة لإنسان بلاد الرافدين بالأنثى دون الذكر، وهو الأمر الذي يؤكد على دور الإلهة الأم والخصوبة في تلك الحضارات.

(ثالثاً) أوجد خلق السماء ورفعها إلى الأعالي مسارات النجوم وسبيل إله القمر التي بدت جميعها على الجانب السفلى من القبة السماوية الصلبة، كما نظم شكل السماء بشكلها الأخير مسار إله الشمس شمش عبر بوابتيه الشرقية والغربية في رحلته اليومية من الشرق إلى الغرب عبر العالم. حيث كان يمر من خلال البوابة الشرقية راكبا في عجلته أو ماشيا على قدميه وقت خروجه من وراء قبة السماء، ثم يسرع في خطاه على جبل شروق الشمس عند حافة العالم ليبدأ رحلته عبر السماء. وفى المساء يأتي إلى جبل غروب الشمس ويسرع ثانية حتى يمر من خلال البوابة الغربية للسماء ليختفي عن أنظار البشر[٢٣٤]. وفى نفس الوقت ضمن بسط الأرض وتمهيد أرضها وشق أنهارها وبحارها وعيونها وأبارها ونصب جبالها وإخراج زرعها وخلق حيواناتها مكانا ملائما لمبشرة حياة الإنسان بصورة آمنة مستقرة.

(رابعاً) كانت محاولة أبسو وتيامة لإبادة الآلهة الحديثة جراء ما اقترفوه من آثام فى حقهم تعنى إرجاع نظام الكون إلى حالته السكونية الأولى من الجماد والسكون والظلمات وسيادة العماء من جديد والعودة إلى مرحلة البدء، وذلك لولا يقظة الإله آيا الذي اشتهر بالمعرفة والحنكة والقوة ومعرفته بالخطة المبيته فلجأ إلى سحره المقدس وألف تعزيمة قوية وقرأها على أبسو فأحل فيه السبات فكبله وقتله وابتنى فى جسمه بيته فسكن فيه هو وزوجته[٢٣٥]. وبذلك كتب للعالم المنظم البقاء والاستمرار وللفوضى الانتهاء. وفى نفس الإطار أيضا كان تغلب مردوخ على تيامة الشق الآخر من العماء، وخلق السماء والأرض من جسدها، ثم باقي عناصر الكون وتنظيمه، يعد انتصارا على قوة السكون والسلب والفوضى وإخراج الكون من حالته الهيولية الأولى إلى حالة النظام والترتيب والحركة والفعالية والحفاظ على شكل الكون.

(خامساً) أنه بالرغم من موت تيامة فان مادة جسدها ما تزال موجودة في السماء والأرض ومياه المحيطات والجبال ومياه دجلة والفرات كما هو واضح من النص التالي: "لقد وضع رأس تيامة وعليه نصب الجبال، وأطلق المياه العميقة ليرتفع موج، وفتح في عينيها دجلة والفرات، وغلق منخريها ليجعل فيها منابع مائية، وعلى ثدييها رفع الجبال العالية وقطع فيها مسالك مائية ذات سيول، ولوى مؤخرتها وطواها

---

٢٣٤ King, L.W., op.cit., p.31-32.

٢٣٥ أحمد أمين سليم: المرجع السابق، ص ٤١٠.

مثل الحبل"[٢٣٦] وبذلك يتضح أن تيامة لم تفن ولم تزل نهائيا. كما أن قوى الفوضى الأخرى من عفاريت وأرواح شريرة وغيرهم كانت موجودة في كل مكان من العالم، بما في ذلك الإنسان نفسه الذي تجرى في عروقه دماء كنكو. وهو الأمر الذي يعنى أن العالم المنظم يحمل في داخله بذور الفوضى القديمة وأن الكون مهدد باستمرار. ولذلك شعر البابليون بأن القتال الكوني لم ينته تماما وأن قوى الشر والفوضى كانت مستعدة على الدوام لتهديد ومنازلة النظام المكين للآلهة[٢٣٧].

ومن هنا كان لزاما على الآلهة أو ممثليها في الأرض (كالملوك والكهنة) خوض الصراع ضد قوى الفوضى والعماء وكسبه كل عام، مثلما فعلت الآلهة في البدء، وإلا تهدد الكون بالفناء. وهو الأمر الذي ظهر جليا من خلال احتفال رأس السنة البابلية الذي ظل يقام سنويا في بلاد الرافدين إلى قرون متأخرة جدا من تاريخ الحضارة البابلية، والذي كان أهم وأبرز الطقوس المتفرعة عنه قيام الملك بتقمص شخصية الإله مردوخ، بطل أسطورة الخليقة البابلية، وقيامه بالقضاء على تيامة وأعوانها، وكذلك محاربة كنكو قائد قوات تيامة والانتصار عليه، وذلك في مسرحية دينية كانت عبارة عن تمثيل لوقائع قصة الخليقة البابلية[٢٣٨].

(سادسا) يبدو واضحا من أحداث تلك الأسطورة أن بطل أسطورة الخليقة البابلية هو الإله إنليل السومرى، غير أنه استبدل بالإله مردوخ إله مدينة بابل الرئيس، بعد أن ارتفع نجمه إلى قمة الهرم الإلهي بعد صعود نجم البابليين وخاصة في عهد الملك حمورابى أشهر ملوك أسرة بابل الأولى، حيث انتزع معظم صفات الآلهة الكبيرة، حتى أنه لقب بسيد الآلهة وأبو الآلهة[٢٣٩]، وذلك عندما نظمت أقدم نسخ تلك الأسطورة. ثم نسب هذا الدور في نهاية الأمر إلى الإله أشور، إله الدولة الآشورية الرئيسي، الذي لمع نجمه مع تعاظم دور الدولة الناهضة على المسرح السياسي، ووصف بإنليل الآشوري ونعت بألقابه مثل الجبل الكبير وسيد الجبال وأبو الآلهة، وأخذ دور كل من إنليل ومردوخ في الرواية الآشورية لأسطورة الخليقة البابلية[٢٤٠] بعد أن أدخلوا على القصة بعض التحوير المناسب للبطل الجديد.

ومما يؤكد إحلال كل من مردوخ وأشور مكان إنليل عدم قيام الإله إنليل بأي دور في تلك القصة في الوقت الذي تقوم فيه الآلهة الكبرى الأخرى كلها بأدوارها

---

[٢٣٦] إيلينا كاسان: المرجع السابق، ص ٣٣٤.

[٢٣٧] جورج رو: المرجع السابق، ص ١٤٢.

[٢٣٨] فاضل عبد الواحد على: عشتار وماساة تموز، الأهالى للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٩، ص١٠٠.

عن عيد رأس السنة البابلية انظر فاضل عبد الواحد على: "الأعياد والاحتفالات" في مجلد حضارة العراق، الجزء الأول، دار الحرية للطباعة، بغداد، ص ١٩٨٥ ٢١٥-٢١٨.

[٢٣٩] د.ادزارد: المرجع السابق، ص ١٢٦-١٢٧.

[٢٤٠] نفس المرجع السابق، ص ٣٤-٣٥.

الملائمة. كما أن الدور الذي يقوم به الإله مردوخ في هذه الأسطورة لا يتفق وطبيعته، لأنه كان في الأصل إلهاً زراعياً أو شمسياً في حين أن الدور الرئيسي في الأسطورة هو دور إله العاصفة أي الإله إنليل. كما أن إنليل وفقا للأساطير السومرية كان هو صاحب دور فصل السماء عن الأرض التي نسبت في القصة إلى مردوخ، إذ لاشك أن الذي يعزل السماء عن الأرض إنما هو الهواء الواقع بينهما وليس أي إله آخر[٢٤١].

وأخيراً تنبغي الإشارة إلى شكل الأرض والسماء كما تصورها البابليون؛ إذ ورد في أسطورة إيتانا البابلية- التي تتحدث عن صعود إيتانا على جناح رفيقه النسر إلى السماء – وصف لشكل الأرض عندما ارتفعا في أجواء الفضاء، حيث بدت لهما الأرض في أول الأمر على شكل جبل وسط مياه البحر، وعندما واصل النسر طيرانه ظهر البحر كبحيرة تنبثق من وسطها الأرض، وفيما بعد أصبح البحر صغيرا جدا أشبه بحزام حول الأرض، وأخيراً ظهر البحر عندما بلغ النسر برفيقه عنان السماء ضئيلا جداً كقناة بستاني أعدت للري. وبذلك اعتقد البابليون أن الأرض كانت على شكل دائرة تشبه جبل ذو جوانب خفيفة الانحدار. وفى نفس الوقت بدت السماء لهم أيضا على شكل قبة صلبة أو غطاء على شكل دائرة مجوفة تماما مثل الأرض[٢٤٢].

ومن الطبيعي أن يعتقد البابليين أن مركز الأرض والعالم بأسره هو مدينتهم بابل – تماما كما تخيل السومريون أن سومر هي مركز العالم وسرة الكون – وأن الأرض نفسها محاطة بمجال مائي كنهر طويل، يقع خلفه سلسلة جبلية تتكون من سبعة أو أربعة عشر جبلا تكون حدود العالم وترتكز على قممها السماء. وقد ظهر هذا المنظور للعالم بهذا الشكل مجسما في رقيم طيني محفوظ حاليا في المتحف البريطاني حيث رسمت عليه خريطة للعالم مثلما تصوروه[٢٤٣] (شكا ١٩). فظهر العالم على شكل دائرة تشتمل على بلاد بابل وبلاد أشور وبعض المدن الأخرى على يمين الفرات ويساره، وقد حفت بهم الجبال من الشمال حيث ينبع منها نهر الفرات، والأهوار من الجنوب حيث مصب نهر الفرات، ويظهر نهر الفرات وهو يخترق وسط الدائرة من الشمال إلى الجنوب وقد رسم على شكل خطين متوازيين ورسمت عليه بابل على شكل مستطيل تقطع نهر الفرات بصورة عمودية في نقطة تقع فوق وسط الدائرة بقليل باعتبارها مركز العالم. ويحيط بهذه الدائرة المحيط وعلى أطرافه رسمت سبعة مثلثات دونت عليها مسافات تشير إلى بعد بعضها عن بعض، يرى البعض أنها ربما تمثل بعض الجزر الكونية المحيطة بالعالم وهى مقر الآلهة[٢٤٤] أو بعض الجزر أو الطرق

---

[٢٤١] ثوركلد جاكوبسن: المرجع السابق، ص ١٩٩-٢٠٠.

[٢٤٢] King, L.W., op.cit., p.28-30.

[٢٤٣] إيلينا كاسان: المرجع السابق، ص ٣٤٢.

[٢٤٤] أحمد سوسة: تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الأثارية والمصادر التاريخية، الجزء الأول، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣، ص ٤٥٧-٤٥٨.

البعيدة التي سلكها بعض الملوك في حملاتهم العسكرية[٢٤٥] وربما تمثل أيضا الجبال المحيطة بالأرض والتي يعتقد أن السماء تستقر عليها.

ثالثاً: أوجه الشبه والاختلاف بين مفهوم فصل السماء عن الأرض ونتائج البحث:

صاغ الإنسان في كل من مصر وبلاد الرافدين مجموعة من الأفكار والتصورات والتعبيرات والمصطلحات كما استخدم مجموعة كبيرة من الرموز وذلك للتعبير عن السماء والأرض بهدف تسهيل فهمهما بصورة تتفق مع منطقه الإنساني المادي وإدراكه الحسي. ومن ثم فقد كانت كل الأساطير التي تناولت تصوير السماء والأرض – بما في ذلك طريقة ظهورهما واتحادهما ثم فصلهما ودورهما في عملية الخلق والأسباب والدوافع والنتائج التي أحاطت بتلك المراحل فضلا عن أنسنة السماء والأرض – عبارة عن قوالب تعبير ووسائل إيضاح كان الهدف منها فهم السماء والأرض في عبارات إنسانية. ولقد أظهرت الدراسة السابقة مجموعة كبيرة من التشابهات والاختلافات بين مفهوم الإنسان في كل من مصر وبلاد الرافدين عن هذه المعتقدات والتي يمكن بلورتها على النحو التالي:-

١- ارتبطت نشأة السماء والأرض في البدء بالمياه الأزلية التي كانت تمثل العنصر الرئيسي في أساطير الخلق في كل من مصر وبلاد الرافدين، فقد كانت السماء والأرض وفق الفكر المصري القديم ثمرة زواج إله الهواء شو بقرينته إلهة الرطوبة تفنوت وقت أن كانوا مع رب الأرباب آتوم في المياه الأزلية نون التي ظلت حتى بعد نشأة السماء والأرض وانفصالهما موجودة فيهما سواء في ماء السماء أو فيما فوقها أو في ماء الأرض أو فيما تحتها.

كما ارتبطت نشأة السماء والأرض أيضا في الفكر الديني ببلاد الرافدين بنفس هذا المفهوم، فقد خرجت السماء والأرض من مياه الإلهة نمو التي كانت تملأ الكون بدون انتهاء، فعدت السماء والأرض بمثابة انبثاق طبيعي من رحم تلك المياه الأم وفقا لمعتقدات السومريين. كما تكونتا أيضا من الطمي الأول الذي نتج من امتزاج مياه أبسو الذي يمثل الماء العذب وتيامة التي تمثل الماء المالح وفقا لما ورد في أسطورة الخليقة البابلية في روايتها الأولى، ومن جسد تيامة فقط وفقا لما ورد في الرواية الثانية، وهى الرواية التي طغت شهرتها على الأولى حتى أصبح من المعتاد عند الحديث عن نشأة السماء والأرض عند البابليين ذكر خلقهما من جسد تيامة الغارق في دماءه.

ومن اللافت للنظر اختيار مؤلف هذه الأسطورة لتيامة دون أبسو لخلق السماء والأرض في الرواية الثانية، وخاصة وأن الأخير كان يمثل الماء العذب اللازم لاستمرار الحياة ضد الماء المالح الذي تمثله تيامة، وربما يرجع ذلك إلى أمرين الأول

[٢٤٥] فاروق ناصر الراوي: المرجع السابق، ص ٢٨٠-٢٨١.

هو أهمية دور الإلهة الأم في عملية الخلق في تلك الحضارات الزراعية التي تعتمد على الخصوبة والإنتاج، والآخر أن تيامة بعد مصرع زوجها أبسو كانت تحوى الماء العذب والمالح معا بدليل قيام مردوخ بفتح نهرى دجلة والفرات من عين تيامة، ومنابع الماء من أنفها، ومسالك السيول من ثدييها، وفى نفس الوقت أطلق مياه البحار من رأسها.

وليس هناك من شك أن اتفاق مفهوم الإنسان في كل من مصر وبلاد الرافدين عن نشأة السماء والأرض وارتباطهما بالمياه الأزلية سواء كان بطريقة غير مباشرة (كما هو الحال في مصر) أو مباشرة (كما هو الحال في بلاد الرافدين) إنما ينسجم إلى حد كبير جداً مع طبيعة البيئة في كل منهما؛ فها هو نهر النيل واهب الحياة في مصر يجرى على أراضيها من الجنوب للشمال ناشراً الخصب والنماء واصلاً بين أجزائها، يفيض تارة ويغيض تارة ثم ما يلبث أن يفيض ثم يغيض وهكذا دواليك في أوقات معلومة، وهو حين يفعل هذا بانتظام واستمرار إنما يترك وراءه تلال وأكوام طينية أشبه بالجزر المنعزلة وسط المياه، التي سرعان ما تكسوها النباتات وتمتلأ بأنواع الحشرات والحيوانات.

وكان من الطبيعي أن يسير خلق السماء على هذا المنوال، إذ أن المفهوم الذي صور طريقة ظهور الأرض ومن عليها من وسط المياه بهذا الشكل، كان من السهل عليه أيضا تصور ظهور السماء بأسلوب مشابه، وفى نفس الوقت لن يعجزه كيفية رفعها إلى الأعالي ما دام هناك هواء يستطيع أن يحمل السماء على ذراعيه أو فوق كتفيه تماما كما يثير الهواء التراب ويرفع الرمال وأمواج البحار ويسبب الزوابع والأعاصير التي ترتفع في الجو إلى أعلى وكأنها جبال رملية تصل إلى السماء. ومن ثم فقد تفتق ذهن المصري عن هذا المنظر المتكرر أمام عينيه بروايته عن خلق الكون ونشأة الحياة وعده مثالا مصغراً لما حدث للكون وقت أن كان عدما في البدء.

ولم يكن مفهوم الإنسان على ضفاف نهرى دجلة والفرات ببعيد عن مفهوم رفيقه في مضمار الثقافة والحضارة على ضفاف وادي النيل؛ فقد استلهم الإنسان هناك مفهومه عن نشأة السماء والأرض بل والكون بأسره من مياه دجلة والفرات وروافدهما – وصراعهما مع مياه الخليج العربي– وهما يجريان من الشمال إلى الجنوب يفيضان وينحسران كما يحلو لهما دونما انتظار أو انتظام فينشأ عن ذلك تراكم كميات هائلة من الطمي على الضفاف أو يلقيان بها على مياه الخليج الهادرة فتتكون الأراضي وتظهر النباتات والحشرات والحيوانات وكأنما انشقت الأرض وأخرجت من بطنها جحافل من الكائنات الحية لتمشى على ظهرها معلنة بداية الحياة ووقت العمل اليومي.

ولم تكن السماء هي الأخرى إلا انبثاقا مماثلا ثم رفعت إلى الأعالي على ذراعي وفوق كتفي الهواء لتأخذ الأرض والسماء مكانهما المحدد لهما في خطة الخلق. وهكذا أسقط الإنسان في كل من مصر وبلاد الرافدين مفهومه عن بدء الزمن ونشأة

الكون وظهور السماء والأرض والكائنات من طبيعة الأنهار التي تجرى على أراضيهما فعد الكون وما يحويه في اعتقادهم انبثاقا من مياه كونية سرمدية كانت موجودة وستظل هكذا إلى الأبد ولن تختفي وسيظل الكون سابحا فيها كفقاعة هواء. وربما ساعد على ترسيخ هذا المعتقد موقع مصر وبلاد الرافدين ففضلاً عن أنهارهما فقد كانا محاطين بمجال مائي شاسع من مياه الخليج العربي والمحيط الهندي والبحر الأحمر والمتوسط مما أعطى الانطباع بان العالم بأسره محاط بمحيط لانهائي.

٢- كان فيما وراء السماء في مفهوم الإنسان في كل من مصر وبلاد الرافدين محيط مائي عد بالنسبة للمصريين غارق في ظلام دامس حيث لا تصل إليه الشمس ولا أحد من البشر أو الآلهة أو الأرواح، واعتبر الملجأ النهائي للخالق الذي سوف يعود إليه في نهاية العالم، ويعد هذا المحيط جزء من مياه نون الأزلية. كما كان هذا المحيط أيضا بالنسبة للبابليين عبارة عن كتلة من المياه تحمله قبة السماء الصلبة وتحافظ عليه في مكانه حتى لا يتحطم ويغرق الأرض، وعلى عكس مفهوم المصريين القدماء عن هذا المحيط اعتقد سكان بلاد الرافدين القدامى أن الآلهة تسكن خلف هذا المحيط السماوي في مملكة خفية تفوق خيال البشر في الجمال والبهاء.

٣- كانت السماء والأرض من الظواهر الكونية الأولى في أساطير الخلق التي مهدت لظهور الحياة الحقيقية بصخبها وضجيجها؛ فقد مثلا في مصر الجيل الثالث من الآلهة الكونية التي ظهرت من المحيط الأزلي نون، حيث سبقهما إلى الوجود كل من الهواء والرطوبة فقط صنيعة رب الأرباب آتوم. كما كانا وفق معتقدات السومريين أول الظواهر الكونية التي انبثقت من المياه الأزلية نمو حيث لم يسبقهما أي ظاهرة أخرى. كما كانا أيضا ثالث الظواهر في أسطورة الخليقة البابلية في روايتها الأولى - بعد الطمي والأفق- التي ألمحت إلى عناصر الكون وما سوف يكون عليه في المستقبل، كما سبق ظهورهما أيضا الأجرام السماوية كلها بدون استثناء وكذلك الأشجار والنباتات والإنسان في الرواية الثانية. وبذلك كانت السماء والأرض بمثابة الإطار الحقيقي الذي كان وجوده ضروريا من أجل أن يضم في المستقبل الكائنات التي قدرت الآلهة وجودها.

٤- لم تكن السماء والأرض وفق أساطير الخلق في مصر وبلاد الرافدين كائنات أزلية ليس لها بداية، وإنما كانت مخلوقات جاءت إلى الوجود عن طريق إرادة وفعل شو وتفنوت مخلوقات رب الأرباب آتوم في مصر، ونمو الكائن الأزلي وفق معتقدات السومريين، وأبسو وتيامة معا أو تيامة بمفردها وهما المخلوقات الأزلية وفق معتقدات البابليين كما هو واضح من أسطورة الخليقة البابلية بروايتيها الأولى والثانية.

٥- تشابه الحالة التي كانت عليها السماء والأرض في البدء وقت خلقهما في الفكر الديني لدى كل من المصريين والسومريين؛ فقد تصور المصري القديم أن السماء كانت ملتصقة بالأرض على هيئة امرأة (نوت) مستلقية فوق زوجها (جب) في وضع

بشرى صرف. كما تصور السومرى أيضا السماء والأرض على شكل جبل كوني مكون من ذكر (آن) وأنثى (كي) في حالة اندماج واتحاد بشرى أيضا. أما أسطورة الخليقة البابلية فقد ذهبت في روايتها الأولى إلى تصورا آخر فظهرت السماء والأرض كقرصين كبيرين (أنشار وكيشار) نتجا عن الطمي (لخمو ولخامو) ثم فصل بينهما الهواء، ثم ذهبت في روايتها الأخرى وكأنهما أجزاء انفصلا من جسد الإلهة الهيولية تيامة التي ظهرت على بعض مشاهد الأختام الاسطوانية على شكل تنين (شكل ١٨).

٦- نحت المعتقدات المصرية القديمة في تحديد جنس السماء والأرض منحاً مختلفاً عن معتقدات سكان بلاد الرافدين القدامى؛ ففي حين كانت السماء أنثى (نوت) والأرض ذكرا (جب) في مصر، كانت السماء ذكراً (آن) والأرض أنثى (كي) في بلاد الرافدين، وربما يرجع السبب في ذلك إلى نظرة الإنسان في كل من الحضارتين إلى مصدر الخصوبة ومنبع النماء وينبوع الوفرة، فالأرض في مصر هي مصدر الخصوبة حيث الماء والنيل، أما السماء فهي مستقر الشمس وأجرام السماء في قرارها المكين استعداداً للميلاد المتجدد يوميا مع إشراقة كل صباح. ومن هنا جاءت الكلمات الدالة على السماء في اللغة المصرية القديمة مؤنثة والكلمات الدالة على الأرض مذكرة. أما في بلاد الرافدين فالسماء هي مصدر الخصوبة بمياهها التي عدت بمثابة بذور إله السماء التي تنزل على الأرض لتخصبها، ولذلك فكثيرا ما صورت بعض مقدمات الأساطير إله السماء وهو يسكب في رحم الأرض منيه المخصب الذي ينتج عنه ميلاد أبناءهما.

٧- تشابه بعض تصورات الإنسان في كل من مصر وبلاد الرافدين عن شكل السماء والأرض؛ فقد تصور المصري أن الأرض كانت عبارة عن سطح مستو - يطفو على مياه نون - ذو حافة مموجة يمثل قاعه سهل مصر الغربى وحافته المموجة البلاد الأجنبية، وتستقر السماء فوق الأرض على هيئة إناء مقلوب وهى الحد الخارجي لأقصى الكون، ويحمل السماء - في أحد التصورات أربع أعمدة أو جدران توجد في الجهات الأصلية الأربع - ويحيط بالسماء والأرض مياه نون الأزلية.

وبأسلوب مماثل تصور السومرى أن الأرض كانت عبارة عن قرص منبسط يطفو على محيط مائي، أما السماء فقد كانت فضاء مجوف مغطى من أعلاه ومن أسفله بسطح صلب على هيئة قبة يحيط قرص الأرض ويفصل بينهما الهواء. كما ظهرت الأرض أيضا من خلال معتقدات البابليين على هيئة قرص مسطح مماثل محاط بمجال مائي توجد خلفه سلسلة من الجبال تتكون من سبعة أو أربعة عشر جبلا تمثل حدود العالم وترتكز على قممها السماء، بحيث تظهر السماء والأرض وما فيهما وبينهما في النهاية طافيتان فوق مياه الهيولى. كما تتفق معتقدات المصريين مع السومريين في صياغة مادة السماء من شيء صلب عد حديدا بالنسبة للمصريين وقصديرا بالنسبة للسومريين.

٨- تتفق الأساطير في مصر وبلاد الرافدين على أن خلق السماء والأرض وفصلهما قد تم عن طريق صنع الشيء وعمله حسب رغبة الإله، وليس عن طريق الأمر الإلهي بمجرد قول كن فيكون، وذلك على الرغم من معرفة هذا الأسلوب في الخلق في كل منهما. وعلى الرغم من صعوبة تفسير هذا الأمر إلا إنه يمكن الافتراض من جهة أن عظم شأن وحجم السماء وما تحويه من أجرام والأرض وما تحمله من كائنات وما تخفيه في بطنها من مواد كانتا أكبر من كل كلمة يمكن أن تخرج من فم أي إله حتى ولو كان رب الأرباب آتوم أو إنليل، وربما يمكن الافتراض من جهة ثانية أن عدم استخدام هذا الأسلوب إنما يدل على اعتقاد الإنسان بعدم طلاقة قدرة تلك الآلهة في الخلق وأنها كانت في بعض الأحيان غير قادرة عن تنفيذ أوامرها بمجرد التلفظ بأمر ما، وأخيرا يمكن القول أن مؤلفو تلك الأساطير لم يتصوروا أن يكون خلق السماء والأرض قد تم بمثل هذه الطريقة السهلة فحاولوا الاستعاضة عنها بتدخل كائن وصياغتهما بشكل مادي صرف.

٩- تحولت السماء والأرض بدورهما وفق أساطير الخلق لدى كل من المصريين والسومريين إلى كائنات صالحة لدفع عملية الخلق واستكمال هيئة وتنظيم الكون، فقد أسفر ارتباطهما في مصر- وكأنه زواج ومخاض وميلاد على نحو ما يحدث بين البشر على الأرض- عن ميلاد أربعة أطفال مثلوا المخلوقات الأرضية وهم أوزير وإيزة وست ونبت حت. كما أثمر زواجهما في سومر عن ميلاد إنليل إله الهواء وانكى إله المياه والأرض. وفي أسطورة الخليقة البابلية ينشأ عن أنشار وكيشار اللذان يمثلان الأفق المكون من ذكر وأنثى ميلاد آن الذي يمثل السماء ثم ولد للأخير انكي الذي يمثل الأرض، ولعل الاختلاف الوحيد هنا أن الأرض عدت ابنا للسماء وذلك بهدف تنظيم نسب مردوخ الذي كان معروفا أنه كان ابنا لإله الأرض انكي في معتقدات البابليين.

١٠- تتفق الأساطير المصرية والسومرية على أن مهمة فصل السماء عن الأرض قد وقعت على عاتق إله الهواء شو في مصر وإنليل في سومر، كما أن دراسة أسطورة الخليقة البابلية قد أماطت اللثام عن دور الإله إنليل في الأسطورة وأنه صاحب هذه المهمة والتي حجبت عنه عندما أسندت إلى الإله مردوخ ثم إلى الإله أشور بعد ذلك. ومن ثم فقد اعتبر الهواء من الآلهة الرئيسية وعد شو بمثابة نفس الحياة أو الحياة نفسها في مصر كما عد إنليل مبدأ الحياة الأول وصاحب الفضل في إعطاء كائنات الكون أرواحها التي تحيا بها، ولعل الاختلاف الوحيد في هذا الصدد هو اعتبار الهواء أبا لكل من السماء والأرض في مصر وابنا لهما في بلاد الرافدين، وفى نفس الوقت لم تسق معتقدات السومريين والبابليين مبررات لفصل السماء عن الأرض كما فعلت الأساطير المصرية التي حاولت إيجاد جملة أسباب لتلك الخطوة.

١١- يلاحظ تدرج عناصر الخلق في أساطير الخلق في مصر وبلاد الرافدين؛ إذ تبدأ الأولى بعناصر الطبيعة بداية من الماء الأزلي الذي ينبثق منه الإله الخالق آتوم الذي

يخلق الهواء والرطوبة ثم يخلقا بدورهما السماء والأرض ثم تنتقل إلى الآلهة البشرية. كما تبدأ في الأساطير السومرية بماء الهيولى ثم السماء والأرض والهواء والماء ثم بقية عناصر الكون. كما يسبق الماء لدى البابليين كافة العناصر الأخرى وينبثق عنه الطمي ثم الأفق فالسماء والأرض وفق رواية أسطورة الخليقة الأولى، ثم يعقب ظهورهما أجرام السماء وكائنات الأرض وفق الرواية الثانية من الأسطورة، وهو الأمر الذي يعكس إدراكا واعيا مقصودا من الإنسان القديم في مصر وبلاد الرافدين بعجلة الخلق وتدرج عناصره وليس مجرد تصورات متقطعة عن الخلق.

١٢- مهد خلق السماء الأرض ثم فصلهما في كل من مصر وبلاد الرافدين إلى ظهور كل الظواهر الكونية والطبيعية وإعداد الكون ليأخذ فيه كل كائن مكانه من ناحية وتهيئة الظروف الملائمة لكي تؤدى كل ظاهرة دورها المنوط بها، والبداية الحقيقية لنشأة الحياة على الأرض. كما يلاحظ أيضا أن عملية الخلق في مصر وبلاد الرافدين قد تمت على مرحلتين تم في الأولى خلق عناصر الكون وفى الثانية تنظيمها. كما كان فصل السماء عن الأرض وفق أسطورة أون سابقا لخلق البشر، وإن ظهر من أحداث سفر البقرة السماوية وجود البشر مع الآلهة جنبا إلى جنب قبل ظهور السماء بشكلها المعروف في الأعالي، غير أنه بصعود رع إلى مستقره الدائم في السماء بصحبة الآلهة تم الفصل بين اللاهوت والناسوت في عالمين مختلفين. كما يتضح من معتقدات السومريين والبابليين أن خلق الإنسان قد تم بعد خلق السماء والأرض بشكلهما المألوف وكذلك كافة ظواهر الكون حتى يقوموا بخدمة الآلهة. ومن ثم فقد كان خلق السماء والأرض بمثابة حجر الزاوية في الكون.

١٣- كان خلق العالم بما في ذلك السماء والأرض في كل من مصر وبلاد الرافدين يواجه تهديد من قوى الفوضى والفناء؛ فقد اعتقد المصري القديم أن كونه مهدد بأخطار جمة سواء من قبل ست أو أبوفيس أو غيرهما من الأرواح الشريرة، وأن بعض تلك القوى يمكن أن تسقط السماء على الأرض وتتحقق الكارثة الكونية التي يخشاها الجميع وبذلك ينتهي العالم ويختفي في مياه نون، بل أن تلك الكارثة يمكن أن تأتى من رب الأرباب نفسه الذي سوف يأمر في النهاية بتدمير الخلق حتى لا يعود سواه في الكون مع أوزير. ولذلك حرص المصري فيما حرص على الحفاظ على بقاء السماء والأرض كل في موضعه إما بتخيل الإله شو وهو يرفع السماء أو بتصور وجود دعائم أو جدران تسند السماء أو غيرها من التصورات التي وردت آنفا.

كما اعتقد سكان بلاد الرافدين القدامى أيضا أن مياه الهاوية موجودة بصفة دائمة حول الكون، كما كانت روح تيامة وأعوانها برغم هزيمتهم وموتهم موجودة في كل عناصر الكون؛ في السماء والأرض والجبال والأنهار والعيون والآبار ومسالك المياه وغيرهم بل وفى دم الإنسان أيضا، وهو ما يعنى أن العالم كان مهدداً باستمرار بطغيان قوى الفوضى والفناء، مما لزم مقاومتها والقضاء عليها الأمر الذي أدى إلى

ضرورة خوض هذا الصراع وتمثيله بصفة مستمرة عاما بعد عام كما هو الحال في احتفال رأس السنة البابلية وذلك خوفا من تغلب بذور الفوضى والفناء على النظام والبقاء

١٤- جاءت تفاصيل خلق الكون بعامة والسماء والأرض بخاصة في الأساطير المصرية بصورة هادئة خالية من العنف والقتل وإراقة الدماء، فهي وفق أسطورة أون جاءت بواسطة انبثاق هادى للإله الخالق من الماء ثم خلقه لشو وتفنوت إما بالبصق والتفل أو الاستمناء ثم زواج طبيعي لجب ونوت يسفر عن ميلاد أولادهما الأربعة، وحتى مع العنف الذي ارتبط ببداية سفر البقرة السماوية فإن ظهور السماء ورفعها وبسط الأرض لم تصحبه أية مظاهر عنيفة. وذلك على عكس ما هو واضح في الرواية الثانية من أسطورة الخليقة البابلية التي غلب عليها الشدة والقسوة والعنف والصراع والقتل والتمثيل بالجثث، فقد صورت هذه الرواية ذلك الصراع الرهيب الذي استعر أواره بين مردوخ وأعوانه من الآلهة الصنديدة وجيوشه المكونة من الرياح والأعاصير وبين تيامة وأفاعيها الضخمة وتنانيها العملاقة وحيواناتها المركبة، والتي تنتهي بتغلب مردوخ على تيامة وجيوشها ثم تمزيق جسد تيامة إلى شطرين خلق منهما السماء والأرض ثم استخدام أشلاء جسدها في خلق بعض عناصر الكون الطبيعية كالجبال والأنهار والآبار وغيرها ثم استخدام دم قائد جيوشها وزوجها كنكو في خلق الإنسان.

وليس هناك من شك أن تباين أسلوب الخلق بين مصر وبلاد الرافدين إنما ينم عن اختلاف جوهري بين طبيعية البيئة في كلا البلدين الأمر الذي يعكس بدوره وبالضرورة طبيعة الإنسان نفسه الذي نسج أمثال تلك الأساطير فيهما؛ إذ تتصف مصر بانتظام فيضان نيلها وخلوه مما يعكر صفو سكانها وخصوبة أراضيها وسهولة الاتصال بين أجزائها وانبساط أراضيها ووجود صحراوات وبحار شكلت مانعا يحول بينها وبين أعدائها، هذا فضلا عن وحدة جنس سكانها ولغتهم، وهي الأمور التي صبغت سلوكيات الإنسان المصري القديم بالهدوء والاتزان مما انعكس على فكره ومعتقداته.

في حين غلبت صفة العنف وعدم الاستقرار على البيئة في بلاد الرافدين والممثل - على سبيل المثال - في عدم انتظام فيضان دجلة والفرات والعنف الذي يصاحبه وعدم صلاحية فيضانه لأوقات الزراعة، هذا فضلا عما يصيبها من وابل الأمطار الإعصارية والعواصف الترابية. هذا بالإضافة إلى ما منيت به بلاد الرافدين على مر تاريخها القديم من هجرات كاسحة وأقوام غازية كالعيلاميين والقبائل الجبلية المعروفة باسم اللولوبى والجوتيين والكاشيين والحيثيين وغيرهم، ولعل هذا العنف الذي تميزت به البيئة الطبيعية في بلاد الرافدين فضلا عن تاريخها هو الذي يفسر الصراع الرهيب الذي صاحب عملية الخلق.

وأخيرا ربما يمكن إرجاع ذلك التشابه الكبير بين مفهوم فصل السماء عن الأرض في مصر وبلاد الرافدين إلى عدة أسباب منها الظروف الطبيعية؛ إذ من المؤكد أن الطبيعة المصرية كانت مصدر الهام للإنسان المصري القديم منذ البداية بأفكاره ومعتقداته، كما كانت المعين الأول لتصوراته في الخلق والتكوين، وخاصة مع وجود نهر النيل وكاشف أسرارها، فهو بين فيضه وانحساره يكشف عن الحياة. كما أن التحام السماء بالأرض عند الأفق يبدو للناظر وكأن الأرض تحمل السماء فوق كتفيها، كما أن حركة الهواء بينها تبدو للناظر وكأنه يحمل قبة السماء، ثم يظهر كل ذلك وكأنه محاط من جميع أرجائه بالمياه طالما أنه يكشف عنها في كل مكان وفى كل ظاهرة.

ولم يكن الأمر بالنسبة إلى سكان بلاد الرافدين القدامى مغاير لذلك فقد عايشوا وشاهدوا مرارا هذا الزخم المائي لمياه دجلة والفرات وخاصة في أوقات الفيضان الذي يتدافع ويتلاطم مع بعضه البعض في فوضى ينبعث عنها رذاذ يعلو مع الأمواج إلى عنان السماء وكأنه يتعلق بالأفق، كما لاحظوا فيضان دجلة والفرات وانبعاث الحياة مع طبقات الطمي المتراكم عنه، كل ذلك في جو ضبابي تلتحم فيه السماء بالبحر عند خط الأفق والسماء بالأرض على مرمى البصر في جوهر واحد وكأنه اتحاد أزلي، وقد بدت السماء وسحبها وهى تلامس قم الجبال وكأنها ترتكز عليها وتجد فيها العون على حمل ثقلها، أو تبدو العواصف الترابية التي تثيرها الهواء وهى تدور حول نفسها ترتفع تارة وتنخفض تارة وكأنها ترنو إلى السماء وتحملها. وهى الأمور التي ربما كان لها أكبر الأثر في بلورة مفهوم الإنسان عن الخلق والتكوين بعامة والسماء والأرض بخاصة وخروج تلك المفاهيم بهذا التشابه الكبير من حيث العموم وبعض التفاصيل.

وربما يمكن الافتراض أيضا وجود تأثيرات متبادلة بين الحضارتين كما كشفت عنه مصادريهما على مر تاريخهما القديم، وهو الأمر الذي يبدو واضحا على سبيل المثال من العثور على بعض الأساطير البابلية كأسطورة ادبا وأسطورة ملكة العالم السفلى في تل العمارنة مما يعنى انتقال بعض من تلك المفاهيم بينهما، غير أنه لا يمكن الأخذ بهذا الرأي دون تحفظ وخاصة وأن أمثال تلك المفاهيم لم تكن قاصرة على مصر وبلاد الرافدين وحدهما وإنما كانت موجودة أيضا في تراث العديد من حضارات العالم القديم.

وعلى أية حال سوف تظل دراسة معتقدات المصريين القدماء وسكان بلاد الرافدين القدامى تكشف المزيد من أوجه الشبه بين مفاهيم الإنسان في كافة معتقداته سواء كانت في خلق الكون أو الإنسان أو في نظرة الإنسان إلى تلك الآلهة وما أسبغه عليها من أسماء وصفات وألقاب ووظائف وما نسجه حولها من أساطير وما كرسه لها من طقوس تماما كما هو الحال في مفهوم فصل السماء عن الأرض.

شكل ١

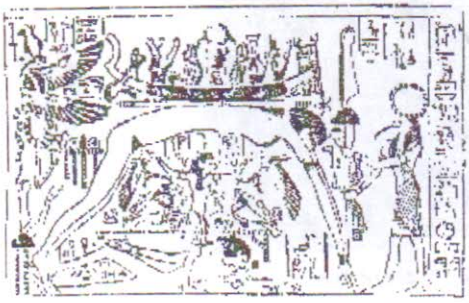

شكل ٢

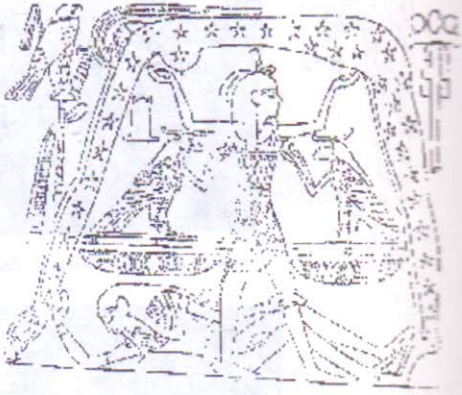

شكل ٣

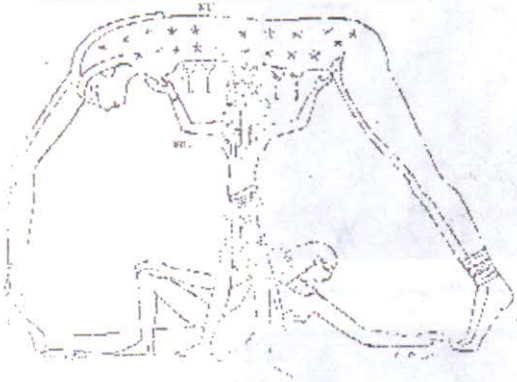

شكل ٤

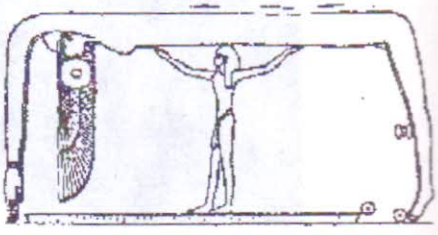

شكل ٥

شكل ٦

شكل ١-٦: مجموعة مناظر تمثل فصل السماء عن الأرض
أحمد محمد البربري: السماء في الفكر المصري القديم، أشكال

١٨، ١٩، ٢٢، ٣٠، ٣٢، ٣٦

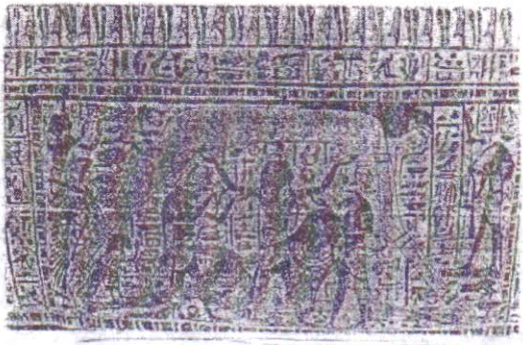

إيريك هورنونج: فكرة في صورة، ص ٣٦، شكل ٩

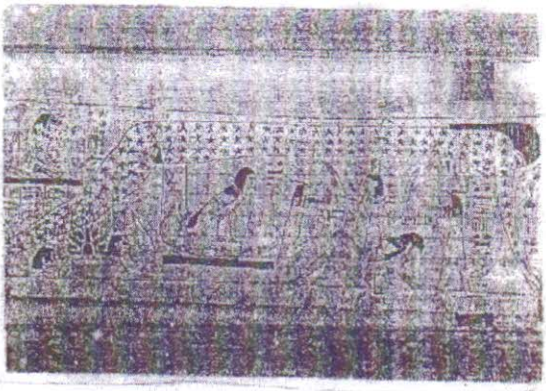

ديمتري ميكس وكريستين فاغار ميكس: الحياة اليومية للآلهة الغرعونية، لوحة ١٢.

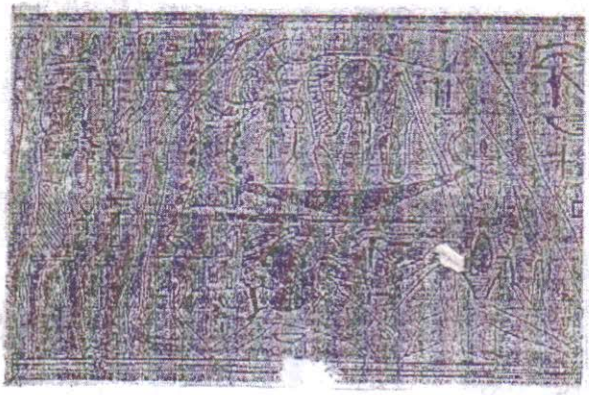

نفس المرجع السابق، لوحة ١١.

شكل ٧-٩: مجموعة مناظر تمثل فصل السماء عن الأرض

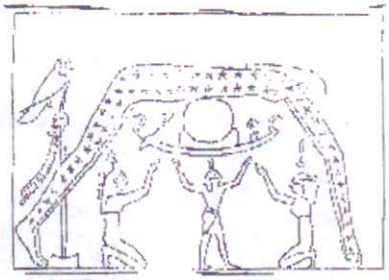

شكل ١٠: الإله شو يحمل مركب إله الشمس نحت جست الهة السماء نوت
Budge, E.A.W., The Gods of the Egyptian, II, p.99.

شكل ١١: الإله شو يرفع الإلهة نوت عن جب بينما يستر الإله رع على جسدها في قاربه
Budge, E.A.W., op.cit., pl.20.

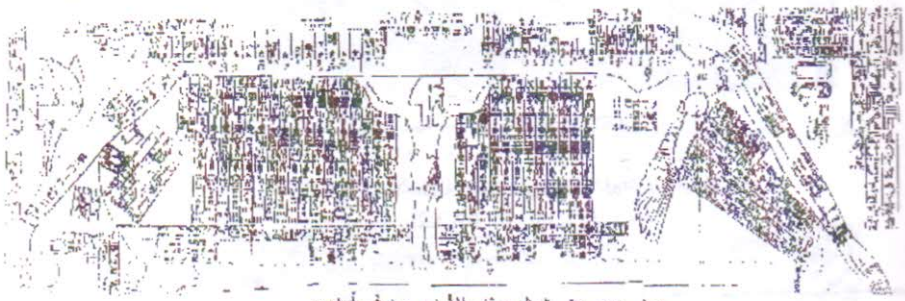

شكل ١٢: منظر العالم بمنقب الأوزيريون في أبيدوس
Allen, J.P., The Egyptian Concept of the World, fig 2:1.

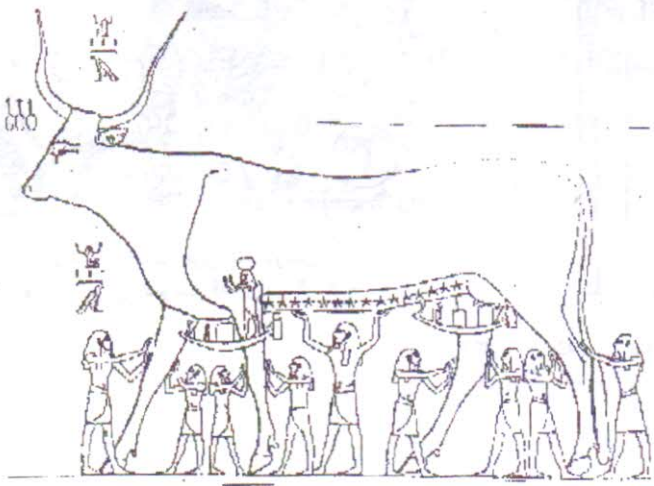

شكل ١٣: منظر البقرة السماوية على المقصورة الخارجية للملك توت عنخ آمون
إيريك هورنونج: فكرة في صورة، ص ٣٣، شكل ٨.

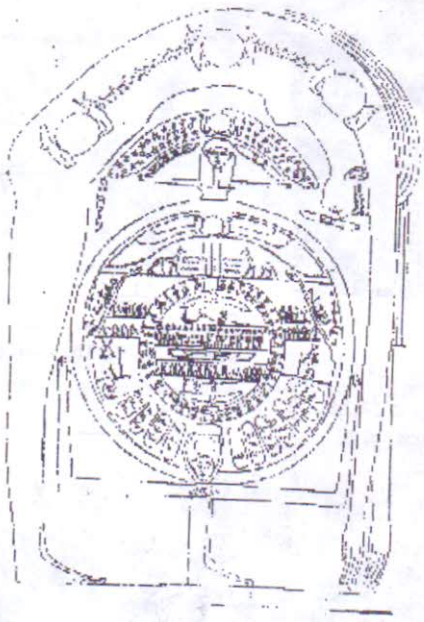

شكل ١٤: منظر العالم على غطاء تابوت (وزن ثقر)
Allen. J.P., op.cit., fig.2:2.

شكل ١٥: إلهة وإله السماء فوق إله الأرض
أحمد محمد البربري: المرجع السابق، شكل ٤)

شكل ١٦: الإله جب وخلفه الإلهة نوت في كامل ملابسها
بارو سلاف تشرني: الديانة المصرية القديمة، ص ١١٤

شكل ١٧: منظر على لوحتين من الحجر الجيري يصور الصراع بين مردوخ وتيامة
محفوظ في المتحف البريطاني تحت رقمي ٢٨، ٢٩.
King, L.W., Babylonian Religion and Mythology, p.75.

شكل ١٨: منظر من ختم أسطواني يصور الإله مردوخ وهو يذبح الإلهة تيامة
محفوظ في المتحف البريطاني برقم ٨٩,٥٨٩
King, L.W., op.cit., p. 102.

شكل ١٩: رسم على لوح من الطين يصور العالم عند البابليين
فاروق ناصر الرلوي: "الجغرافية"، ص. ٢٨٠.